حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد الثامن . شوال ١٤٣٩هـ / تموز ٢٠١٨م

٨

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد محمد مجيد الموسوي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

مدرسة الإمام الصادق(عليه السلام) في الكوفة

ودورها في تطور العلوم وبناء الحضارة الإسلامية

السيد مثنى محمد رضا الشرع(*)

الحوزة العلمية في النجف الأشرف

قال الإمام الصادق(عليه السلام): إن ولايتنا عرضت على السموات والأرض والجبال والأمصار ما قبولها قبول أهل الكوفة[1].

تأسيس مدينة الكوفة:

إن إنشاء الكوفة سنة(١٧هـ /٦٣٨م) ارتبط مباشرة بفتح العرب للعراق، فما ان فرغ العرب المسلمون من السيطرة على العراق، بعد طرد الساسانيين وبعد أن استولوا على جلولاء والمدائن، حتى شعروا بالحاجة إلى إنشاء دار هجرة على تخوم البلاد المفتوحة، وتكون بمثابة المعسكر والمركز للهجرة في الوقت نفسه، وعلى ذلك تشكل الكوفة ثمرة مباشرة لعملية من عمليات الفتح الخاطف، وذلك أن الكوفة تحتل موقع القلب من المنطقة[2].

فالكوفة هي المدينة الإسلامية الثانية التي أسست في العراق بعد الفتح العربي إذ كانت مركزاً زاهراً من مراكز العلم والحضارة العربية الإسلامية، وكان لها تاريخ سياسي وديني حافل، وقد برزت أهميتها حينما اختارها الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) عاصمة له. وفيها استشهد ومرقده على مقربة منها.

وقد أسسها سعد بن أبي وقاص بأمر من عمر بن الخطاب في الجانب الغربي من الفرات على بضعة أميال إلى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الحيرة وكان السبب في تأسيسها ان تكون قاعدة عسكرية للقسم الأوسط من العراق أو دار هجرة وعاصمة للمسلمين بدل المدائن، وبعد معارك متعددة خاضها المسلمون كمعركة القادسية سنة (١٥هـ/٦٣٦م) وجلولاء (١٦هـ/٦٣٧م) والتي تم فيها إحراز النصر حتى وضحت الحالة عندئذ إلى مرحلة الاستقرار[3].

فعندها جرى البحث عن موضع آخر حتى وصلوا إلى موضع الكوفة وكتب سعد إلى عمر يصفها قائلاً: «إني نزلت الكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات برياً بحرياً وخيرت المسلمين بالمدائن، فمن أعجبه المقام تركته فيها كالمسلمة فبقي أقوام من الاقناء وأكثرهم بنو عبس». فاقر عمر الاختيار، وبدأ الجيش العربي الإسلامي يقيم أول معسكراته في المحرم سنة (١٧هـ /٦٣٨م)، أو (١٨هـ/٦٣٩م)[4].

لقد كان اختيار الكوفة بالإضافة إلى بعض المميزات وأولها صفاته المناخية كصفاء الجو وعذوبة المناخ وأنها تقع على حافة صحراء الجزيرة العربية لا يفصل بينها وبين العاصمة ماء أو جسر، للمحافظة على خطوط المواصلات للجيوش الإسلامية المقاتلة في هذه المنطقة التي تحتاج إلى معسكر ثابت لراحة الجند ولحماية ثغور البلاد ويكون مركزاً لتموين ساحات القتال بالجند والمؤن[5]، وبعد موافقة عمر بن الخطاب أمر الناس بالبنيان فبنى الناس بها الدور واختطوا الحيطان لقبائل العرب، فسكنت العرب الكوفة من ذلك اليوم، وأرسل عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص فأمر بعمارة مسجدها الذي صار فيما بعد مدرسة للعلم والعلماء[6].

اسمها:

لم تكن الكوفة معروفة بهذا الاسم قبل تمصيرها، وإنما كان موضعها أرضاً خالية من السكان على الضفة الغربية للفرات الأوسط إلى الشرق من مدينة الحيرة، وكان بينها وبين النهر لسان من الرمل يقترب عمودياً من الفرات يسمى اللطاط وفي السهل الخصيب المحصور بين الفرات شرقاً والبادية

(١) بحار الأنوار ج٥٧ ص٢٠٩.

(٢) الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، ص٦.

(٣) فتوح البلدان، ص٢٧٥.

(٤) سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٥) حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن ٢هـ ص٤.

(٦) تاريخ الكوفة، حرره: الأستاذ محمد صادق بحر العلوم، ص٢٧.

الواسعة المطلة على مشارف الشام وعمان غرباً بنيت هذه المدينة التي اتخذت اسم الكوفة عند تمصيرها [1]، وذلك لان سعداً لما افتتح القادسية نزل المسلمون الانبار، وعندما تحول عنها الى موضع الكوفة، فتكوف بها، والتكوف التجمع، وقيل المواضيع المستديرة من الرمل تسمى (لحوفاني)، وبعضهم يسمى الأرض التي فيها الحصاء مع الطين والرمل كوفة. وعرفت بكوفان وهي ما بين الدغل والقصب والخشب[2]، وقال ابن الكلبي، سميت بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان وعليه اختطت مهرة موضعها، وكان هذا الجبل مرتفعاً عليها فسميت به.

وقد سميت بكوفة الجند حيث يقال[3]:

إن التي وضعت بيتاً مهاجرة
بكوفة الجند غالت ودها غول

وذلك لان السبب الأول في تاسيس الكوفة، أن تكون قاعدة عسكرية تتجمع فيها الجنود أو لأنه اختطت بها خطط العرب.

أما أصل الكلمة، فالبعض قال أن اسم الكوفي سرياني لأنها عرفت عند طائفة السريان التي كانت تنزل أطراف الكوفة[4]، والبعض قال إنها كلمة آرامية محرفة من كلمة (كوبا)، ومهما يكن من رأي في اسم الكوفة فانه بلا شك اسم عربي. وفي العهد الأموي عرفت الكوفة والبصرة بالعراقين، اي أنهما عاصمتا العراق حينما ضم معاوية الكوفة إلى زياد وجمع البصرة لما مات المغيرة بن شعبة أمير الكوفة سنة (٤٩هـ أو ٥٠ هـ)[5].

تخطيطها:

لم تكن الكوفة معروفة قبل أن ينزلها العرب، فالكوفة أنشئت إنشاءً جديداً لتكون دار هجرة ومنزل جهاد المسلمين، وكانت منذ إنشائها مواطن المجاهدين العرب ومركز القوة الإسلامية، فقد شاركت جيوشها مشاركة فعالة في فتح الجزيرة، كما تعاونت مع جيوش البصرة في فتح أجزاء كبيرة من بلاد فارس، فازدادت أهمية الكوفة حتى أصبحت قصبة العراق، وقال عمر عنها في أول الأمر: «الكوفة رمح الله وقبة الإسلام وجمجمة العرب، يكفون ثغورهم ويمدون الأمصار»[6].

(١) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ص ٢١.
(٢) لسان العرب، ج٩، ص٣١١.
(٣) القاموس المحيط، ج٣، ص١٤٣.
(٤) خطط الكوفة، ص٢٥.
(٥) مباحث عراقية، مجلة سومر، المجلد الرابع، (١٩٤٨)، ج١، ص١٣٦ – ١٤١.
(٦) تخطيط مدينة الكوفة، ص٦١.

وقد وضع المسجد ودار الإمارة وبيت المال أو ما خطط في الكوفة لكونها كانت تؤلف قسماً من أقسام المدينة له كيانه الخاص المستقل به. وقد كان المسجد الجامع هذا هو المركز الديني والثقافي والاجتماعي والروحي في مدينة الكوفة، بالإضافة إلى مساجد أخرى صغيرة للقبائل، أما دار الإمارة فقد انشأ في موقع الفضاء المتصل بالمسجد من جهة القبلة وبين بيت المال بجانب دار الإمارة وبجوار المسجد إذ كان يفصل بينهما طريق. ثم اختط الناس دورهم من وراء تلك العلامات، وقد قسمت الكوفة على سبع مناطق عسكرية سميت الأسباع وذلك وفقاً للقيادات وتيسيراً للتعبئة العامة وتيسيراً لتوزيع الغنائم والأعطيات بعد العودة، وقد كانت هذه الأسباع مقطعات قبلية (بالنسبة إلى النسب أو الحلف) وهي[7]:

١- كنانة وحلفاؤهم الاحابيش، وجديلة وهؤلاء كانوا أعواناً للولاة القرشين وكانوا يلقبون باهل العالية.
٢- قضاعة وغسان وبجلة وخثعم وكندة وحضرموت والازد. وقد كانت السيادة بينهم لبجلة ثم كندة.
٣- مذحج وحمير وهمدان
٤- تميم والرباب وبنو العصر وهم من العناصر المضرية.
٥- أسد وغطفان ومحارب ونمير وضبيعة وتغلب ومعظمهم من ربيعة .
٦- اياد وعك وعبد القيس والحمراء.
٧- قبيلة طي.

وعندما قدم الأمام علي(عليه السلام) الكوفة بعد يوم الجمل سنة (٣٦هـ) غير نظام الأسباع في الكوفة وأقامها على الترتيب التالي:

١- همدان وحمير
٢- مذحج واشعر ومعهم طي
٣- قيس (عبس وذبيان) ومعهم عبد القيس.
٤- كندة وحضرموت وقضاعة ومهرة.
٥- الازد وبجلة وخثعم والانصار.
٦- بكر وتغلب وبقية بطون ربيعة.
٧- قريش وكنانة وأسد وتميم وظبية والرباب[8].

وفي سنة (٥٠هـ) أي في إمارة زياد بن أبيه صار تكتل الأقسام العسكرية في الكوفة على غرار ما كان بالبصرة حيث قسمت إلى وحدات صغيرة (أرباع) ليسهل توزيع العطاء على أهل العطاء، وتنظيم عمليات القتال ولتسهيل إدارة هذه الوحدات والتي هي:

(٧) معجم البلدان، ج٧، ص٢٩٧.
(٨) خطط الكوفة، ص١١.

الربع الأول: أهل العالية (أهل المدينة).
الربع الثاني: تميم وهمدان.
الربع الثالث: ربيعة وكندة.
الربع الرابع: مذحج وأسد[1].

وبعدها تم تخطيط الشوارع والطرقات العامة وجعل فيها خمسة عشر منهجاً والتي اختطت مبتدئة من الجامع باعتباره مركز الحياة وبذلك نلاحظ أن تخطيط المدن كان يختلف من مكان إلى آخر تبعاً للظروف والملابسات التي مر بها تاريخ البلاد التي اختطت بها هذه المدن.

بناؤها:

أما بناء الكوفة وتطورها العمراني، فقد بنيت المدينة أول الأمر بشي من البساطة واليسر، وكانت أكوام وكتل من الخصاص (الأكواخ القصبية) والخيام والتي نصبت بصورة مؤقتة وذلك بعد سنة (١٧هـ) حتى سنة (٢٢هـ)، أي ظلت على حالها طيلة الأعوام الخمسة الأولى، مبنية من القصب على غرار بناء البصرة، فلما وقع الحريق بالكوفة والبصرة وكان أشدهما حريقاً الكوفة فاحترق ثمانون عريشاً ولم يبق منها قصبة، فبعث سعد إلى عمر يستأذنه في البناء باللبن[2] وشيدت المساكن من الآجر وأول تلك المساكن بنيت في محلة كندة.

ومنازل مراد والخزرج من الأنصار وبذلك أصبحت أكثر صموداً من بيوت القصب أمام تحديات الطبيعة. وتسابق الناس على البناء، وتحولت في بضع سنين إلى مدينة عامرة مزدحمة السكان تقوم هي والبصرة بدور العاصمة للعراق وخاصة في العصر الأموي[3].

وما إن حطت القبائل رحالها في المصر الجديد وبدأ العمران، حتى توافد عليها الناس من كل صوب، فكانت الكوفة منذ إنشائها موطن المجاهدين العرب ومركز القوة الإسلامية، كما رسم لها أن تكون حيث أنشأها العرب فازهرت ازدهارها الكبير وزهت إلى اكبر حد ممكن، حتى صارت قبلة أنظار العرب وأصبحت تضاهي البصرة من حيث السعة والبناء، فاحتذى الحجاج بها بعد ذلك عند بناء واسط كذلك فعل المنصور في بناء بغداد[4].

عناصر السكان:

لقد كانت المدن العربية يسكن فيها مزيج من أناس تختلف لغاتهم وتتباين طباعهم وثقافاتهم وأديانهم وعاداتهم وعلى هذا فقد كانت الكوفة مدينة تكثر فيها العناصر وتتعدد.

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص١٤٨.
(٢) الكامل في التاريخ، ج٢، ص٤١١.
(٣) الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٧٩.
(٤) المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، ص٥٨.

١- القبائل العربية:

كان اغلب سكان الكوفة في بداية الأمر عرب الجنوب من أهل البيت وكان عددهم عشرين ألفاً منهم اثنا عشر الفاً من اليمانيين وثمانية آلاف من المضريين (قبائل القحطانية وقبائل العدنانية)[5].

فقبائل اليمن القحطانية كانت تشمل: قضاعة وغسان وبجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والازد ومذحج وحمير وهمدان والنخع، أما القبائل العدنانية فهي تميم والرباب وبنو العصر، أما بني بكر فهم بنو أسد وغطفان ومحارب ونصير وهناك مجموعة أخرى مثل كنانة وجديلة وضبيعة وعبد القيس وتغلب وأياد وطي وثقيف وعامر ومزينة[6].

وقد قسمت هذه القبائل في سكناها الكوفة على سبع أقسام سميت كل قسم منها (سبع)، وبعد ذلك وفي عهد زياد بن أبيه تغير هذا النظام وتحول من أسباع إلى أرباع كما تم التوضيح سابقاً.

وقد احدث هذا التقسيم الرباعي زياد بن أبيه ولم يعد يعتمد على النسب أو الحلف بين القبائل في كل ربع وإنما تعمد المزج بين المجموعتين القبليتين الأساسيتين (اليمانية والنزارية).

وكان لكل قسم رئيس والذي يختار من بين الذين لهم نفوذ شخصي كبير بين قبائلهم وممن لهم مكانة عالية في القبائل الأخرى وقد زودوا بسلطة عسكرية وإدارية ومالية فكانوا في أوقات السلم يديرون شؤون القبيلة وكانوا يقودون الحملات العسكرية، ومن الموظفين الذين كان يعتمد عليهم الأمير بعد رؤساء الأقسام في توزيع العطاء والسيطرة على السكان وفي إدارة المنطقة (العرفاء)، ولم يكن هذا النظام جديداً بل انه موجود منذ عصر ما قبل الإسلام. وكانوا مسؤولون مسؤولية كاملة عن الأمن والنظام في عرافاتهم فهم يراقبون مسببي الاضطرابات والفتن كما إنهم مسؤولين عن الديات التي تطلب من أفراد عرافاتهم. أما في أوقات الحرب فقد كانوا يندبون الناس للقتال ويحثونهم للحرب[7].

وقد تطلبت الحياة القبلية في الكوفة التي استحداث وظيفة (المنكب)، وقد كانت اقل من وظيفة العريف وقيل إن المنكب معاونه، ووجدت وظيفة أخرى مثل (النقيب)، وقيل إنها اقل من العريف، هؤلاء هم السكان الذين سبقوا إلى الاستقرار في الكوفة بالإضافة إلى سبعين رجلاً من صحابة الرسول(ﷺ)

(٥) فتوح البلدان، ص٢٧٦.
(٦) خطط الكوفة، ص٢٥.
(٧) الحياة الاجتماعية في الكوفة، ص٥١ – ٥٢.

ممن شهد بدراً قد هبطوا الكوفة وثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وكان في مقدمتهم عمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود.

٢- الموالي:

لقد قدم هؤلاء الموالي إلى الكوفة أسرى حرب، ثم اعتنقوا الإسلام فاعتقهم أسيادهم العرب فأصبحوا موالى لهم وينتقل العبيد بعد عتقهم من الرق إلى مكانة أخرى تكون بين الرق والحرية ويصبح هؤلاء الموالي أعضاء في عشيرة سيدهم ويتمتعون بحرية كبيرة في استغلال مواهبهم وقابلياتهم الفردية وقد دخل الموالي التنظيم القبلي وأصبح موالي كل قبيلة ينتسبون إليها ويحاربون في صفوفها، كما يحاربون مع أسيادهم الذين منوا عليهم بالعتق إذا وقعت الحرب.

بالإضافة إلى موالي العتق ظهر نوع آخر من الموالي من الأعاجم الذين جاءوا إلى الكوفة واستوطنوها بمحض اختيارهم وتحالفوا مع بعض القبائل واضعين أنفسهم تحت حمايتها معلنين طاعتهم وولائهم لها[١].

لقد كون هؤلاء الموالي نسبة كبيرة من سكان الكوفة، حتى قيل أن الموالي بلغوا نصف السكان [٢]، وقد تمتع هؤلاء الموالي جميعاً بكثير من الحقوق، وقد بنى الموالي مسجداً في الكوفة يقيمون فيه الشعائر الدينية سمي بمسجد الموالي وكانت لهم سكة تدعى سكة الموالي، وأباحت لهم القيام بالأعمال التجارية والصناعية وغيرها من الحرف التي احتكروها، وقد اثر الموالي في الحياة السياسية تأثيراً كبيراً فكانوا يحرضون على الثورة ضد الحكم واشتركوا في ثورات متعددة فقد أيدوا المختار وابن الأشعث وساهموا فيها.

وقد تولى بعض منهم مناصب إدارية مهمة مثل سعيد بن جبير[٣]، الذي شغل إلى جانب القضاء جباية الصدقة والعشور في عهد عبد الرحمن ابن الأشعث[٤] وغيرها من المناصب. وقد كان لهم دوراً بارزاً في حياة العرب من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بالإضافة إلى الناحية الثقافية.

٣- العبيد:

لقد خاض الكوفيون معارك كثيرة، وانتصروا فيها جميعاً مما جعلهم يغنمون عدداً كبيراً من الأسرى مختلفين باختلاف الأمم التي قاتلت الكوفيين وحاربتهم، وقد كان هؤلاء الأسرى أو الرقيق يعدون غنيمة فتأخذ الدولة خمسها لبيت المال ثم توزيع أربعة الأخماس الباقية على الجنود الذين اشتركوا في المعارك بالتساوي، ومن مصادر الرقيق الأخرى أيضاً الشراء حيث كان الناس يجلبون الرقيق من مناطق بعيدة وكان عدد كبير من تجار العبيد (النخاسة) يرافقون الجيش والحملات يشترون أعداداً كبيرة منهم وبسعر زهيد جداً[٥].

وقد كون هؤلاء طبقة كبيرة في المجتمع الكوفي، وكانت هذه الطبقة فقيرة معدومة استخدمت في الخدمة وسخرت في الأعمال الوضيعة التي كان العربي يأنف من مزاولتها الأمر الذي ساعد على الانصراف إلى الحروب والقتال والأدب والشعر ولم يكن العبد في الكوفة يقضي حياته كلها سجيناً في قيود الرق والعبودية وإنما كان باستطاعته أن يتحرر من العبودية بعد أن يفدي نفسه بمبلغ معين من المال يدفعه إلى سيده، أو يكتب بهذا المبلغ سنداً أو عقداً لسيده يدفعه عندما يتوافر لديه المال اللازم[٦].

٤- أهل الذمة

أ - المسيحيون

لقد سكن الكوفة عدد كبير من المسيحيين جاءوا إليها من الحيرة والقرى المحيطة بها، ولاسيما بعد زوال مجد الحيرة،

(١) الدولة العربية وسقوطها، ص١٧٤.

(٢) تاريخ الطبري، ج٧، ص٢٠٨.

(٣) سعيد بن جبير (٤٥-٩٥ هـ) هو سعيد بن جبير بن هشام الاسدي بالولاء، مولى بني والبة بن الحارث بطن من بطون بني أسد بن خزيمة، احد أعلام التابعين تتلمذ على يد عبد الله بن عباس في الفقه والتفسير والحديث، وروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، كان عالماً بالفقه والتفسير ومسائل الحلال والحرام، اشترك في ثورة ابن الأشعث ضد الحجاج الثقفي، وعندما قبض عليه الحجاج وقبل أن يقتله قال سعيد داعياً: اللهم لا تحل له دمي ولا تمهله من بعدي. فذبح واحتز رأسه، ولم يزل الحجاج بعد قتله سعيداً فزعاً مرعوباً حتى منع النوم وجعل يقول: ما لي ولك يا سعيد بن جبير. قتل سعيد وله من العمر(٤٩) عاماً وقبره الآن في واسط يزار بها. لمزيد من التفاصيل انظر: كتاب سعيد بن جبير، ص١٥.

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس، واسم الأشعث معد يكرب وسمي أشعث، لشعث رأسه وهو من كندة في الكوفة، وأم محمد بن الأشعث هي أم فروة بنت أبي قحافة، آخت أبي بكر لأبيه، قتل أبوه سنة ٦٧هـ وبعد أن فشل ابن الأشعث في دير الجماجم ضد الحجاج لجأ إلى بلاد الهند، ويخديعة من الحجاج جيء به وتم قطع رأسه، فاستراح الحجاج من همه وبدأ بالقضاء على الذين اشتركوا في ثورته داخل العراق. فتوجه إلى الكوفة واستقر فيها وتوجه إلى قبيلة النخع وقال لهم: يا معشر النخع اخبروني عن كميل بن زياد من أي قبيلة هو منكم؟ فقالوا لهُ: هو من بني الصهبان فقال الحجاج: لا والله لأخرجتم من الدار أو تأتوني به وإلاّ ضربتُ أعناقكم.. المعارف ص٣٣٣، نسب قريش، ص٤٤.

(٥) الأغاني، ج١، ص١٢٩.

(٦) الأغاني، ج١٤، ص١٣٨.

وقد بقي هؤلاء على دينهم فحفظ لهم الإسلام أموالهم وحرياتهم ودمائهم وشعائرهم وقد أقاموا الكنائس[1].

وقد تولى هؤلاء الوظائف الكثيرة في الدولة ولاسيما في كتابة الدواوين فمثلاً اتخذ أبو موسى الأشعري له كاتباً نصرانياً.

وقد اشتغل مسيحيو الكوفة بالصيرفة وكونوا سوقاً لها وصار في أيديهم اكبر محلات الصيرفة في المدينة.

ب – السريان

كان السريانيون يسكنون الجزيرة الفراتية في الرها ونصيبين وجنديسابور وحران في ديارات منتشرة كما سكنوا الحيرة ثم قدموا الكوفة واستقروا بها واشتغلوا بالعلم وقد خدموا العلم والفلسفة بما ترجموا من مؤلفاتهم في الطب والرياضيات والطبيعيات والمنطق وغيرها.

ج – النبط

وهم خليط من الكلدانيين والسريانين والآراميين وقد أطلق عليهم اسم (الأنباط) وكانت الأكثرية قد اعتنقت المسيحية، وهم سكان البطائح بين العراقيين[2].

د – اليهود

لقد عاشوا في الكوفة وأقاموا في محلة نسبت إليهم سميت (النجرانية)، وقد نزلوا الكوفة سنة (٢٠هـ)، وكان هناك يهود الحجاز ويهود الحيرة، وقد بنوا المعابد في الكوفة وكانوا يقيمون شعائرهم الدينية بحرية تامة، كما أنهم زاولوا بعض الحرف فكان الصفارون والصياغون وغيرهم. وبعد أن ثبتوا أقدامهم زاولوا مهنة التجارة والصرافة والصياغة وإدارة السفن وصناعة الزجاج.[3]

بالإضافة إلى العرب والأعاجم تقاطر على الكوفة أهل المدن المجاورة في العراق والشام وفارس من طلاب الرزق للاستفادة من تلك النهضة السياسية بالتجارة والصناعة وغيرها، فاجتمع في تلك البقعة لفيف من أمم شتى والذي كان مصيرهم تعريب لان العربية كانت قد أصبحت لغة الدولة والدين ولا بد منها لمن أقام في تلك الديار من المسلمين وغيرهم بعد أن تحولت دواوينها إلى العربية، فاشتدت الحاجة إلى ضبطها وجمع ألفاظها، غير ما بعث إلى ذلك من الأسباب الأخرى، فاشتغل الناس بتدوينها ونبغ الرواة والأدباء، فأصبحت الكوفة بؤرة العلم والأدب.

(١) خطط الكوفة، ص٢٥.

(٢) تخطيط مدينة الكوفة، ص٤٣.

(٣) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ص١٠٥.

إطلالة على سيرة الإمام الصادق عليه السلام

ولد الإمام الصادق(عليه السلام) في السابع عشر من شهر ربيع الأول وقيل في رجب سنه ٨٣ هـ وخرج من الدنيا وافداً على ربه في شوال من عام ١٤٨هـ، أي انه عاش ٦٥ أو ٦٨ عاماً حسب اختلاف تاريخ ولادته.

وقد سماه رسول الله(صلى الله عليه وآله) أغنى فيها الحياة والفكر بحسن السيرة والعلم الغزير واشراقاته الروحية واستنباطه العقلي، أقام مع جده الإمام السجاد(عليه السلام) اثنتي عشر سنةً وأقام مع أبيه الإمام الباقر(عليه السلام) تسع عشرة سنة، كان فيها ناضج التفكير متكامل المواهب يقصدهُ العلماء والمحدثون ليأخذوا من علمه وحديثه في المواضيع المختلفة.

أقام الإمام بعد أبيه الباقر(عليه السلام) أربعاً وثلاثين سنة وهي مدة إمامته لقد اتجه الإمام الصادق(عليه السلام) بكل إمكانياته إلى الدعوة والدين ونشر تعاليمه وأحكامه ولم يترك الإمام الصادق(عليه السلام) باباً من العلوم إلاّ وخاض فيه وناظر الزنادقة والملحدين والمنحرفين في تفكيرهم واتجاههم عن أصول الدين والإسلام وكانت له مع هؤلاء جولات ناجحة أعادت الكثير منهم إلى موقع الحق والصواب وظلت دروسهُ في المواضيع المختلفة غنية بالعطاء لكل مَنْ جاء بعدهُ ومرجعاً للمفكرين والعلماء في كل ما يتعسر عليهم.

ونرى الإمام الصادق(عليه السلام) وهو صغير قد حفظ القرآن ويتقن تفسيره ويحفظ الأحاديث من أوثق مصادرها عن آل البيت تواتراً عن الإمام علي وجده السجاد ومن أبيه السجاد- عليهم السلام- وقد أتيح للإمام الصادق(عليه السلام) بفكره الثاقب وعقله النير أن يكشف ما وضعه المزيفون وما تم دسه من إسرائيليات الأحاديث فقد ترك الأمور السياسية، آثر أن يهب لنفسه العلم ورأى أن خير ما يقاوم به البغي هو الكلمة المضيئة التي تنير للناس طريق الهداية وتزكيهم وتحركهم للدفاع عن حقوق الإنسان التي شرعها الإسلام، والى حماية مصالح الأمة الإسلامية التي هي هدف الشريعة وقد تعلم الصادق(عليه السلام) من جده أمير المؤمنين(عليه السلام) أن تعلم العلم حسنة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه مَنْ لا يعلمهُ صدقة.

بعض مما قيل عنه:

قد اجمع واصفوه بانه لقب بالصادق لأنه عرف بصدق الحديث والقول والعمل حتى أصبح الناس يسمونه بالصادق قال عنه ابن الحجاج:

يا سيداً أروي أحاديثه ... رواية المستبصر الحاذق

كأنني اروي حديث النبي ... محمد عن جعفر الصادق

وقال عنه الجاحظ لقد فجر الصادق(عليه السلام) ينابيع العلم والحكمة في الأرض وفتح للناس أبواباً من العلوم لم يعهدوها من قبل وقد ملأ الدنيا بعلمه.

واتصف الإمام بنبل المقصد وسمو الغاية والتجرد في طلب الحقيقة، قال عنه مالك ابن انس: لقد كنت آتي جعفر بن محمد فكان كثير العلم والتبسم وما كنت أراه إلاّ على ثلاث خصال أما مصلياً أو صائماً أو يقرأ القرآن الكريم)، وكان الإمام من العباد الذين يخشون الله تعالى يقول مالك أيضاً: ما رأت ما رأت عيني ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من الإمام الصادق(عليه السلام) علماً وعبادة وودعاً.

قال عنه أبي حنيفة النعمان (رأيتُ افقه من جعفر بن محمد)، وكان أبو حنيفة قد تتلمذ على يد الإمام سنتين متصلتين حينما فرّ من حبس أبي هبيرة والتجا إلى الحجاز فاقام بها إلى أن ظهر أبو العباس السفاح وكان أبو حنيفة يقول: لولا السنتان لهلك النعمان.

وهذا محمد الشهرستاني صاحب كتاب الملل والنحل يصف الإمام بقوله: الإمام ذو علم غزير وأدب كامل وزهد وورع تام عن الشهوات، ويشير إلى اعتزال الإمام السياسة فيقول: ولا نازع احد في الخلافة. ويعلل الشهرستاني هذا الاعتزال بقوله: مَنْ غرق في بحر العلم والمعرفة لم يقع في شط ومَنْ تعلى إلى ذروة الحقيقة لم يخفْ من حط.

ويصف الكاتب علي الهندي الإمام حيث يقول: لا مشاحة في أن انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فك الفكر من عقاله، فاصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل حاضرة من حواضرَ العالم الإسلامي، ولا يفوتنا إلى من تزعم تلك الحركة هو حفيد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) إنه الأمام جعفر الصادق وهو رجل رحب، أفقاً في التفكير، بعيد أغوار العقل مُلم كل إلمام بعلوم عصره ويعتبر في الواقع أول من أسس المدارس الفلسفية المشهورة في الإسلام ولم يكن يحضر دروسهُ الفقهاء فقط وإنما يحضرها الفلاسفة والمتفلسفون من أنحاء واسعة.

في أثناء حكم الخليفة العباسي أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٦ هـ) جاء الإمام الصادق(عليه السلام) إلى العراق للقائه وزيارة قبر جده أمير المؤمنين(عليه السلام) إذ جاء من المدينة إلى الكوفة قاصداً إظهار قبر جده لعامة الشيعة في ذلك الوقت. فكان الإمام الصادق(عليه السلام) ينزل في بني عبد القيس المجاورين للسهلة أو في الطرف القريب إلى النجف من الحيرة وكان يصحب معه العشرات من تلامذته الخلص ليريهم قبر جده. الإمام الصادق(عليه السلام) وان كان قبل ذلك يرشد أصحابه بالوصف الدقيق إلى موضعه في النجف بين الذكوات البيض لكنهم لم يعلموا به تحت الأرض.

أما مجيئه هذا العام ١٣٢ هجرية فقد قصد النجف ومعه ابن عمه عبد الله بن الحسن، فعن عبد الله بن عبيد بن زيد قال: رأيت جعفر بن محمد و عبد الله بن الحسن واقام الصلاة وصلى مع جعفر بن محمد وسمعتُ جعفراً يقول: هذا قبر أمير المؤمنين[١].

والزيارة نفسها ذكرها السيد ابن طاووس عن صفوان بن مهران الجمال[٢] التي قال فيها: جملت جعفر بن محمد بن علي فلما انتهينا إلى النجف قال: تياسر حتى تجوز الحيرة فتاتي القائم، قال: فبلغت الموضع الذي وصف لي، فنزل وتوضا ثم تقدم هو وعبد الله بن الحسن ثم صلينا عند قبر، فلما قضيا صلاتهما قلت جعلت فداك أي موضع هذا القبر؟ قال: هذا قبر علي بن أبي طالب(عليه السلام) وهو القبر الذي يأتيه الناس هناك[٣].

ومن خلال الرواية المتقدمة الذكر نتبين إن الناس في الكوفة قد خرجت عن بكرة أبيها لاستقبال والسلام على لإمام الصادق(عليه السلام) وابن عمه عبد الله بن الحسن ويدل على ذلك رواية رواها السيد ابن طاووس فعن محمد بن معروف الهلال قال: مضيتُ إلى الحيرة إلى جعفر بن محمد(عليه السلام) فما كان لي فيه حيلة من كثرة الناس فلما كان اليوم الرابع، رآني فادناني وتفرق الناس عنه ومضى يريد قبر أمير المؤمنين فتبعته وكنت اسمع كلامه وانا معه فحيث صار في بعض الطريق غمزه البول فتنحى عن الطريق وبال، ثم نبش الرمال فحفر فخرج له ماء فتطهر لصلاته وقام فصلى ركعتين واخذ يدعو....[٤].

وعلى الرغم من أن الخبر ليس فيه تعيين لموضع القبر فان تلك الزيارة لم تكن الأولى له. وذكر السيد ابن طاووس أيضا رواية عن حسين بن أبي العوجاء الطائي عن أبيه قال: إن جعفر بن محمد(عليه السلام) مضى إلى الحيرة ومعه غلام له على راحلتين وذاع الخبر بالكوفة فلما كان اليوم التالي قلت لغلام لي اذهب واقعد في موضع كذا من الطريق فإذا رأيت غلامين على راحلتين فتعال إليّ، فلما أصبحنا جاءني فقال: قد ابتلاه فقمت إلى بارية فطرحتها على قارعة الطريق والى وسادة وصفرية جديدة وقلتين علقتهما على النخلة، وعندها طبق من الرطب

(١) فرحة الغري، ص٨٤

(٢) صفوان بن مهران الجمال: بن المغيرة الاسدي يكنى أبا محمد الجمال وهو ثقة كوفي ومن الذين دل الإمام الصادق على قبر أمير المؤمنين فكان منهم وأبو بصير وعبد الله بن طلحة والمعلى بن خنيس ويونس بن ظبيان وزارة بن سنسن وغيرهم وقد وقفه جمع من العلماء منهم العلامة في الخلاصة والنجاشي في رجاله والشيخ الطوسي في الفهرست والمشتركات للكاظمي، والمعجم للسيد الخوئي انظر: جلاء الأبصار ج١ ص١٩٥، المعين على معجم رجال الحديث ص٤٣١.

(٣) فرحة الغري، ص٨٥

(٤) المصدر السابق ص٨٨

وكانت النخلة صرفانة فلما اقبل تلقيته وإذا الغلام معه، فسلمت عليه ورحبّ بيّ ثم قلت: يا سيدي يا ابن رسول الله، رجل من مواليك تنزل عندي ساعة وتشرب شربة ماء بارد فثنى رجله فنزل، واتكئ على الوسادة ثم رفع رأسه إلى النخلة فنظر إليها وقال: يا شيخ ما تسمون هذه النخلة عندكم؟ قلت يا ابن رسول الله صرفانة، فقال، ويحك! هذه والله العجوة نخلة مريم، القط لمنامها، فلقطتُ فوضعته والطبق الذي فيه الرطب فأكل منها فأكثر فقلت: جعلت فداك بابي أنت وأمي هذا القبر الذي أقبلت من قبر الحسين؟ قال: أي و الله يا شيخ حقاً ولو انه عندنا لحججنا إليه. قلتُ: فهذا الذي عندنا في الظهر هو قبر أمير المؤمنين؟ قال: أي والله يا شيخ حقاً ولو انه عندنا لحججنا إليه، ثم ركب راحلته ومضى[1].

وزيارة أخرى للإمام الصادق(عليه السلام) قام بها فعن المُعلى بن خنيس[2] الذي قال: كنت مع الإمام بالحيرة فقال لهم: افرشوا لي في الصحراء وافرشوا لمعلى عند رأسي، فجاء فرمي برأسه عند صدر فراشه وجئتُ إلى رأسه فرأيت انه قد نام، فقال: يا معلى، قلت: لبيك، فقال: أما ترى النجوم ما أحسنها. قلتُ: ما أحسنها فقال: أما أنها أمان لأهل السماء فإذا ذهبت جاء اخل السماء ما يولدون ونحن أمان لأهل الأرض فإذا ذهبنا جاء أهل الأرض ما يوعدون، قل لهم يسرحوا على البغل والحمار، وقال: اركب البغل، قال: فركب الغل وركب الحمار فقال لي: أمامك فجئنا حتى صرنا إلى الغريين، فقال لي: هما قلت نعم. قال: خذ يسرة، قال فمضينا حتى انتهينا إلى موضع فقال لي: انزل ونزل، وقال لي: هذا قبر أمير المؤمنين فصلى وصليت.[3]

وروى السيد ابن طاووس زيارة الإمام الصادق(عليه السلام) مع ولده إسماعيل فعن يزيد بن طلحة قال: قال لي أبو عبد الله(عليه السلام) وهو بالحيرة: أما تريد ما وعدتك؟ قلت: بلى، يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين(عليه السلام) قال فركب إسماعيل معه وركبت معهم حتى إذا أجاز الثوية وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض ونزل إسماعيل ونزلت وصلى ركعتين وصلى إسماعيل وصليت، فقال لإسماعيل: قم فسلم على جدك الحسين، فقلت: جعلت فداك، أليس الحسين بكربلاء؟ فقال: تعم ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا ودفنه بجنب أمير المؤمنين(عليه السلام)[4].

وزيارة أخرى قام بها الإمام الصادق(عليه السلام) فعن يونس بن ظبيان قال: أتيت أبا عبد الله حيث قدم الحيرة وذكر حديثا حدثنا إلاّ انه سار معه حتى انتهينا إلى المكان الذي أراد فقال: يا يونس اقرن دابتك فقرنت بينهما، ثم مد يده فدعا دعاءً خفياً لا افهمه، ثم استفتح الصلاة فقرأ فيها سورتين خفيفتين يجهر فيهما وفعلت كما فعل، ثم دعا ففهمتهُ وعلمني إياه وقال يونس: أتدري أي مكان هذا؟ قلت: جعلت فداك لا والله ولكي اعلم إني في الصحراء، قال: هذا قبر أمير المؤمنين(عليه السلام) يلتقي هو ورسول الله يوم القيامة[5].

ويحدثنا صفوان بن يحيى الجمال[6] عن زيارته مع الإمام الصادق(عليه السلام) انه قال خرجت مع الإمام الصادق(عليه السلام) من المدينة أريد الكوفة فلما جزنا الحيرة، قال يا صفوان: قلتُ: يا ابن رسول الله قال تخرج المطايا إلى القائم، وجد الطريق إلى الغري، قال صفوان: فلما صرنا إلى قائم الغري اخرج رشاء معه دقيقاً قد عمل من الكتبار ثم تبعد عن القائم خطاً كبيراً ثم مدّ ذلك الرشاء حتى انتهى إلى آخره ثم ضرب بيده فأخذ منها كفاً من التراب فشمه ثم رماه ثم اقبل يمشي حتى وقف على موضع القبر الآن. ثم ضرب بيده المباركة إلى التربة فقبض منها قبضة ثم شمها ثم شهق شهقة حتى ظننت انه فارق الحياة، فلنا فاق قال: ههنا والله مشهد أمير المؤمنين(عليه السلام) ثم خط تخطيطاً فقلتُ يا ابن رسول الله ما منع الأبرار من أهل البيت من إظهار مشهد؟ قال: حذراً من بني مروان والخوارج أن تختال في إذاه.

قال صفوان: فسألتُ الصادق(عليه السلام) كيف تزور أمير المؤمنين(عليه السلام)؟ فقال يا صفوان: إذا أردت ذلك فاغتسل والبس ثوبين طاهرين غسيلين أو جديدين ونل شيئاً من الطيب فان لم تنل اجزاك، فإذا خرجت من منزلك فقل: اللهم إني خرجت من منزلي وتمم الزيارة وتركتها لطولها[7].

---

(١) المصدر السابق ص٩٠.

(٢) المُعلى بن خنيس: مولى الإمام الصادق ومن قبله كان مولى بني أسد كوفي ثقة وهو بزاز كان أول أمره معتزلياً ثم دعا إلى الثائر العلوي محمد ذو النفس الزكية، وصفه العلامة بالمحمود ومضى على منهاجه وهذا يقتضي وصفه بالعدالة وهناك روايات ذامة له وروايات مادحة له والروايات الدالة على المدح أكثر وانه من أهل الجنة فيكون الأظهر عدالته. انظر: جلاء الأبصار ج٣ ص٩٦.

(٣) فرحة الغري، ص٩١.

(٤) المصدر السابق، ص٩٣.

(٥) فرحة الغري ص٩٥.

(٦) صفوان بن يحيى الجمال: بن محمد البجلي مولى بجيلة الساباري كوفة ثقة عين روى أبوه عن الإمام الصادق وروى هو عن الإمام الرضا وكانت له عنده منزلة شريفة ولا إشكال في وثاقته وقد وثقه جمع من الأصحاب. قال الشيخ الطوسي انه أوثق أهل زمانه عند أصحاب الحديث وغيرهم وكان يصلي كل يوم مائة وخمسين ركعة ويصوم في السنة ثلاثة أشهر ويخرج زكاة ماله كل سنة ثلاث مرات. وروى أبو طالب القمي: دخلت على الإمام الصادق في آخر عمره فسمعته يقول: جزى الله صفوان بن يحيى ومحمد بن سنان و زكريا بن آدم وسعد بن سعد خيرا فقد وفوا لي.. انظر: جلاء الأبصار ح١ ص٢٦، رجال الخاقاني ص١٥٦، قواعد الحديث ص٦٥، المعين على معجم رجال الحديث ص٢٣٨.

(٧) فرحة الغري ص١١٩.

كان أبو جعفر المنصور يخشى على خلافته مما وصل إليه الإمام الصادق(عليه السلام) من علو منزلة وسمو مكانته بين المسلمين عامة والشيعة خاصة حتى أن المنصور كان يصفه بالشجي المعترض في حلقي من اعلم الناس في زمانه، وانه ممن يريد الآخرة لا الدنيا، وحين مات الإمام الصادق نعاه المنصور بقوله: انه ليس من أهل بيت إلاّ وفيهم محدث ولقد كان جعفر بن محمد هو محدثنا [1]

ولكن موقف المنصور كان ضعيفاً إزاء ما التزمه الإمام الصادق(عليه السلام) من خط سياسي إذ انه لم يعلن العصيان ولم يدع لنفسه واكتفى باستدعاء الإمام الصادق(عليه السلام) إلى العراق مرات عدة ليوقفه بين يديه ويريد بذلك استنقاصه إمام الناس والتصغير من شانه.

العوامل المؤثرة في النشاط العلمي في زمان الإمام الصادق(عليه السلام):

شهد عصر الإمام(عليه السلام) نشاطاً علمياً أوجد صراعاً حامياً على كل مسلم ومسلمة يدخل هذا الصراع لمصلحة الإسلام ودفاعاً عن الإسلام فما هي تلك العوامل:

١)إن المحيط في ذلك العصر كان محيطاً مذهبياً وكانت الناس لأسباب مختلفة مذهبية ونتيجة لوصايا الرسول الأكرم -ص- بالعلم كان العامل الأساسي لهذه النهضة والحيوية والنشاط

٢) إن أعراقاً كثيرة دخلت في الإسلام وهم ذو سابقة فكرية وعلمية.

٣) العالم كلهُ كان بمثابة الوطن الإسلامي أي أن الإسلام يرفض فكرة الوطن المحدود بالماء والتراب، فالوطن الإسلامي هو حيثما يوجد أسلام فهو وطن. وكانت النتيجة أن التعصب قد زال إلى حد كبير بحيث أن الأعراق على اختلافها كانت تحيى حياة مشتركة وكانت تشعر بالأخوة.

وقد كان أهل الكتاب في ذلك الزمان من أهل العلم قد انضموا إلى المجتمع الإسلامي وأخذ المسلمون منهم العلم في العصر الأول لكن في العصر الثاني تسلم المسلمون زعامة المجتمع العلمي وبسبب التسامح والتساهل مع أهل الكتاب وسعة صدور بعض الخلفاء أوجبت أن يختلط المسلمون مع المسيحيين في دار الخلافة و اليهود والمجوس وغيرهم مع بعضهم فكانت هذه العوامل الثلاثة التي أوجدت هذه الحيوية و النشاط العلمي والتي هيات الساحة للإمام الصادق(عليه السلام) فالبحث غداً أفضل لكن تهيات للإمام(عليه السلام) ساحة أخرى بحيث يمكن القول أن الحركات العلمية في العالم الإسلامي مرتبطة بالإمام(عليه السلام) وتأخذ منهُ جميع العلوم.

أما نشاط الإمام(عليه السلام) فتمثل في مجلات نشر الفكر الإسلامي وتعميق مبادئه ونشر أحكامه وكانت مباشرته لنشر الفكر الإسلامي تتمثل بـ:

١- نشر مفهومات العقيدة وأحكام الشريعة وبث الوعي العلمي وتجنيد جمهرة من العلماء للقيام بتثقيف المسلمين وقد أفتتح الإمام(عليه السلام) معهدا من اكبر المعاهد الإسلامية في عصره وأختار يثرب مركزا لمعهده وجعل الجامع النبوي محلا لتدريس محاضراته التي خاض فيها في جميع العلوم.

٢- فتح باب التخصص في الفلسفة وعلم الكلام والرياضيات والكيمياء.

٣- وضع القواعد لمسائل الأصول والفقه ليربي بين تلامذته ملكة الاجتهاد والاستنباط من القواعد الأصولية التي جاءت عن الإمام(عليه السلام) مثل قاعدة البراءة والتخيير والاستصحاب وقاعدة اليد والفراغ والضمان وغيرها.

والإمام(عليه السلام) هدف بعمله العلمي هذا ثلاثة أمور هي:

١- بناء قاعدة متينة للتشريع الإسلامي وركيزة قوة العقيدة الإسلامية وضمان بقاء الإسلام.

٢- تصحيح المفهومات الخاطئة والأحاديث المكذبة.

وجاء أسلوب الإمام(عليه السلام) في رده على الشبهات المغرضة في العقائد والنظريات الدينية أسلوبا بارزا وقد تمثل بمقابلته للتيارات الغربية الفاسدة التي أوجدتها الأوضاع السياسية الفاسدة ونتيجة لظهور الفكر الأجنبي عن طريق ترجمة الكتب الإغريقية والفارسية والهندية وقد قاوم الإمام جميع الفئات التي ظهرت وصارعهم على صعيد العلم. وفي تلك الأثناء عرفت المساجد وندوات العلم في المدينة المنورة الإمام وهو يتفكر في خلق السماوات والأرض بكل ما أتيح له من معرفة وإشراق روحي وهو يرفض الاشتغال بالسياسة وعلى وجههِ شعاع من نور النبوة وأدى عكوفه على دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي إلى أن يؤمن عن اقتناع وتدبر وتفكر في ظواهر الحياة والكون فهي دليله إلى الأيمان بوحدانية الله هداهُ هذا التفكر إلى الاهتمام بعلوم الطبيعة والكيمياء والفلك والطب وعلم النبات والأدوية لأنها علوم تحقق مصالح الناس وتحرر الفكر وتهديه إلى الأيمان العميق و الحق الراسخ وجذب أصحاب العقول الذكية إلى الإسلام والدين. ولما كان دور الإمام الصادق(عليه السلام) دور علم ومعرفة لذلك فقد ازدهرت العلوم الدينية واتسع نطاق العلم وازدحم مجلس الإمام وكثر روادهُ بالعلماء حتى أن طلاب

(١) نظرية الإمامة لدى الشيعة ألاثني عشرية، ص٣٧٧.

الإمام وصلوا إلى أربعة آلاف من مشهوري العلم، وقد تتلمذ على يديه العالم العربي الكبير جابر ابن حيان وكذلك، أبو حنيفة النعمان، وأبان بن تغلب، ومحمد بن مسلم، وزرارة بن سنسن بن أعين، وجابر الجعفي. وقد صنفوا كتباً كثيرة في الحديث كانت تسمى الأصول عرف منها أربعمائة أصل ثم جمعت ونقحت في أربع موسوعات في جميع أحاديث أبواب الفقه وما يلحق به. ومن هذه الكتب:

١- كتاب الكافي والذي بشمل على (١٦١٩٩) ألف حديثاً.

٢- كتاب مَنْ لا يحضره الفقيه المشتمل على (٩٠٤٤) ألف حديثاً.

٣- كتاب التهذيب المشتمل على (١٣٥٩٠) ألف حديثاً.

٤- كتاب الاستبصار المشتمل على (٥٥١١) ألف حديثاً.

وهذه الكتب الأربعة تعتبر من أهم الكتب التي الُفت في التاريخ الإسلامي والحضارة العربية، وإنّ كان هناك العشرات من الكتب.

كما أن الإمام الصادق(عليه السلام) تصدى للغلاة والمندسين بين أصحابه بقصد التشويه والتخريب فوضعوا عشرات الألوف من الأحاديث المدسوسة على الأئمة الأطهار(عليهم السلام) لذلك وقف الأمام بالمرصاد وأعلن كفرهم والبراءة منهم وظل يلاحقهم ويفند آرائهم ويحذر المسلمين منهم ومن دسائسهم حتى قضى على أفكارهم ومزاعمهم واظهر للناس واقعها قبل أن ترى النور وتتسرب إلى العقول. على أية حال فان جامعة أهل البيت التي أسسها الإمام الباقر استقل بها ولده الصادق(عليه السلام) بعده أكثر من ثلاثين سنة وقصدها العشرات من العلماء وطلاب العلوم كان لها مكاناً طيباً في تاريخ التشريع الإسلامي واليها يشير أبي حنيفة النعمان بقوله: لولا السنتان لهلك النعمان[١].

أرسل أبو جعفر المنصور يستدعي إليه الإمام الصادق(عليه السلام) ويقمع معه آل الحسن فقد كان المنصور يعلم أن الإمام الصادق(عليه السلام) يمنع محمد ذو النفس الزكية من أن يدعي انه المهدي ولكنه في الوقت نفسه لا يمنعه أن يغضب الله وليامر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكان المنصور قد رحل إلى الحجاز واستقر بالربذة قرب المدينة وأمر بالقبض على بني الحسن كما أمر بسجن عبد الله بن الحسن وآله في قصر ابن هبيرة شرق الكوفة وفي الربذة قال المنصور لحاجبه الربيع بن يونس: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً وتلكأ الربيع في تحقيق أمر المنصور فالح عليه المنصور الطلب

(١) في رحاب الإمام الصادق (عليه السلام)، جريدة الفرات، العدد ١٠٨، ص٨، النجف، ٢٠٠١.

وفي اليوم الثاني قدم الإمام الصادق(عليه السلام) إلى الربذة فاستقبله الربيع وقال له: يا أبا عبد الله: اذكر الله تعالى، فانه قد أرسل لك من لا يدفع شره إلاّ بالله واني أتخوف عليك. فقال له الإمام: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وتم اللقاء بين المنصور الإمام الصادق(عليه السلام) وأغلظ المنصور له القول ثم سمح له بالعودة إلى المدينة.

روى الشيخ الكليني إن الإمام الصادق(عليه السلام) رفض مرة إن يستجيب إلى دعوة المنصور بالرحيل إلى العراق ليمثل بين يديه فامر والي المدينة بان يحرق دار الإمام ونجح الإمام في تخطي النار والنجاة بنفسه وهو يقول: أنا ابن أعراق الثرى، أنا ابن إبراهيم خليل الله، وهو يشير بذلك إلى إبراهيم الخليل الذي أنجاه الله من النار[٢].

وعندما رأى الإمام الصادق(عليه السلام) أفعال الأمويين وأشياعهم وما تعرض له شخصياً فقد تعرض لكثير من المحن في عهود الخلفاء الأمويين أمثال (هشام بن عبد الملك، والوليد بن يزيد بن عبد الملك، ويزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد بن يزيد، ومروان بن محمد بن مروان) فقد تتبع هؤلاء أهل بيته بالقتل الذريع وامتحن الإمام الصادق(عليه السلام) اشد امتحان وصبر الإمام على كل ما نزل به من محن واضطهاد وتضييق وتشديد ومصادرة لأمواله.

يلُخصُ لنا المؤرخ الدكتور حسين مؤنس مظالم أبو جعفر المنصور وأخيه السفاح بعد حديثه عن الظلم أيام بني أمية فيقول:..... إنّ ما وقع على الناس من المظالم أيام بني العباس كان أهول وأبشع، ولقد قتل أبو العباس السفاح وأعمامه ألوفاً كثيرة ظلماً وعدواناً، وجاء أخوه أبو جعفر المنصور فقتل من الناس أكثر، وكان في جملة المقتولين أعمامه، وهانت الدماء على رجال بني العباس حتى أن الإنسان يترحم على أيام الجاهلية!! [٣]

لذلك رأى الإمام أن ينصرف إلى العلم انصرافاً كلياً فلم يشغل نفسه بدعوة الخلافة ولا قيادة لأتباعه ليقضوا على سلطان الأمويين أو سلطان العباسيين كما فعل أتباع عمومته محمد ذو النفس الزكية وأخوه إبراهيم بن عبد الله، ولم يذكر اسمه في الأحداث التي وقعت في عهده إلاّ إذا كانت آلما أو أسفا على الذين يقتلون من ذوي قرباه، لقد عكف الإمام على العلم والعبادة، وبعد حثه لأتباعه ومحبيه على السكن قرب مرقد جده أمير المؤمنين(عليه السلام) ولم تذهب جهود الإمام سدىً بل اثمرت وأينعت، وبدأت أهمية النجف عندما ظهر المرقد

(٢) جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، ص٢٤٣.

(٣) ظلمات بعضها فوق بعض، مجلة أكتوبر المصرية، الحلقة الرابعة، ص٢٣، العدد ٣٣٤، القاهرة، ١٩٨٣.

الشريف بعد إخفائه زمناً ليس بالقصير فنشات العمارة والمباني حول المرقد الشريف سنة ١٧٠ هجرية وقطن النجف بعض العلويين وخاصة من الشيعة، ثم أخذت رقعة المدينة تزداد وتتسع بازدياد عمائرها وتلاحق مبانيها، كما أخذت بنصيب وافر من العمران فلم ينقضِ القرن الرابع الهجري إلاّ وكان في النجف من السادة العلويين ألف وستمائة فرد، وهذا بخلاف أتباعهم وأهل شيعتهم، وفي عهد الجلائريين والايلخانيين الشيعة بلغت النجف درجة عظيمة من التقدم والازدهار حضارياً واقتصادياً في القرون السابع والثامن الهجري فقد أنفقوا من الأموال والجهد لبناء المدارس وإقامة المساجد والخانات واجروا إليها الأنهار وأنفقوا الأرزاق والإعاشة على من حل بها كمل فعل قبلهم البويهيون في القرن الرابع الهجري، فهم الذين قاموا بأول عمارة كبيرة للمرقد الشريف وشيدوا أركانه وشيدوا بإزائه المساجد والدور لمن جاورا النجف ووصلوهم بالأموال الكثيرة والصلات وأحاطوها بالأمن والاستقرار[1]

الإمام الصادق(عليه السلام) وتفسير القرآن:

لقد حظي القرآن بمناهجَ عديدةً في التفسير وكانت المناهج تتنوع وتتلون وفقاً للظروف التاريخية والصبغة الفكرية للمفسر ومن هذه التفاسير هو تفسير الإمام الصادق(عليه السلام) وهو أقدم تفسر صوفي في التاريخ الإسلامي.

دعونا مستمع للصادق(عليه السلام) وهو يفسر القرآن حينما يسئل:

١- سُئل عن قوله تعالى ﴿بِسْمِ﴾ قال(عليه السلام): الباء بقاؤه، والسين أسماؤه، والميم ملكه.

٢- سُئل عن قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ قال(عليه السلام) الشكر لله وهو المنعم بجميع نعمائه على خلقه وحسن صنعه وجميل بلائه، وألف الحمد من آلائه وهو الواحد، فبآلائه أنقذ أهل معرفته من سخطه وسوء قضائه، واللام من لطفه وهو الواحد، والحاء فمن حمده وهو السابق بحمد نفسه قبل خلقه فبسابق حمده استقرت النعم على خلقه، والدال من الإسلام فهو السلام ودينه الإسلام وداره السلام وتحيتهم فيها سلام لأهل الإسلام في دار الإسلام.

٣- سُئل عن قوله تعالى ﴿الم﴾ فاجاب: الحروف المقطوعة في القرآن أشارت إلى الوحدانية والفردية والديمومة وقيام الحق بنفسه بالاستغناء عن سواه.

٤- سُئل عن قوله تعالى ﴿وَاللهُ يَدْعُو إِلى دارِ السَّلامِ﴾ فاجاب: الدعوة عامة والهداية خاصة وما طلبت الجنة إلاّ بالسلام.

٥- سُئل عن قوله تعالى(يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) قال: جاهد الكفار باليد والمنافقين باللسان.

٦- سئل عن قوله تعالى ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ قال(عليه السلام) نون هو نور الأزلية الذي اخترع منه الأكوان كلها فجعل ذلك للرسول(صلى الله عليه وآله).

٧- سئل عن قوله تعالى ﴿فَسُبْحانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ قال(عليه السلام): بالله فابدوا في صباحكم وبه فاختم فمن كان ابتداؤهُ لا يشقى فيما بينهما.

من وصايا الإمام وحكمه:

لقد ترك لنا الإمام الصادق(عليه السلام) الكثير من الكلمات والحكم القصيرة والطويلة ونحن نقتبس منها

١- قال(عليه السلام) (الرغبة في الدنيا تورث الغم والحزن والزهد في الدنيا راحة القلب والبدن)

٢- قال(عليه السلام) (العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والصبر أميره وجنوده الرفق وأخوه اللين).

٣- قال(عليه السلام) (مَنْ ساء خلقه عذب نفسه).

٤- قال(عليه السلام) (أحب أخواني من أهدى إلي عيوبي).

٥- قال(عليه السلام) (من زين الإيمان الفقه، ومن زين الفقه الحلم، ومن زين الحلم الرفق، ومن زين اللين السهولة).

٦- قال(عليه السلام) (أربعة من أخلاق الأنبياء، البر والسخاء و الصبر والقيام بحق المؤمن).

٧- قال(عليه السلام) (ستة لا يكون في مؤمن، العسر والنكد والحسد واللجاجة والكذب والبغي).

هكذا عاش الإمام الصادق(عليه السلام) وهو يحلق في سماء المعرفة ويضرب أغوار العلم وانه رأى باستمراره في دوره العلمي انفع للناس وظلت الرئاسة تطلبه وهو يرفض وحاول أقاربه مرات ومرات أن يخرجوه مما هو فيه من علم ودراسة وتنوير للعقول إلى أن يدخل إلى حلبة السياسة فيعلن الثورة على الدولة الأموية فاجابهم بالرفض ومضى يتفقه بالدين وخصوصاً في تفسير القرآن الكريم.

وراح الأمام الصادق(عليه السلام) ينشر نور العلم والمعرفة على الناس ويوضح لهم ما خفي عنهم فالتف حوله الخلق حتى أصبح أشهر أهل زمانه وأعلمهم بأصول الدين.

وكان الإمام أهلاً لهذا كله لما يتمتع به من السماحة والعذوبة والرقة والإشراق الروحي والذكاء المتوقد والشجاعة والدفاع عن الحق وقوة في دحض البطل فضلاً عن الطهارة وسمو الخلق العظيم.

وفي شوال عام ١٤٨هجرية توقف القلب العظيم النابض بالعلم والزاخر بالمعرفة كان الإمام الصادق(عليه السلام) في الثامنة

(١) مشهد الإمام علي بالنجف، ص١١٠.

والستين من العمر وقد ترك لنا ثروة من الفقه لا مثيل لها في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

ترك لنا تراثاً زاخراً من العلم والتأملات الروحية وانشأ في الحياة الفكرية تياراً جديداً خصباً أغلى فيه العقل والنظر والتأمل والعلم.....

ابرز طلبة الإمام الصادق(عليه السلام) من أهل الكوفة ممن أسهموا في تطور العلوم و بناء الحضارة الإسلامية:

وهم كل من:

١- ابان بن تغلب الكوفي
٢- إبراهيم بن يزيد بن عمرو النخعي
٣- احمد بن بشير الكوفي
٤- احمد بن مبشر الكوفي.
٥- احمد بن ثابت الحنفي الكوفي ويقال الهمداني.
٦- آدم بن بياع اللؤلؤ الكوفي
٧- آدم بن صبيح الكوفي.
٨- إبراهيم بن محمد بن علي الكوفي
٩- إبراهيم بن نعيم الصحاف الكوفي.
١٠- إبراهيم بن عبادة الاسدي الكوفي.
١١- إبراهيم بن الزبرقان التيمي الكوفي.
١٢- إسحاق بن جرير بن يزيد بن عبد الله البجلي الكوفي
١٣- إسحاق بن أبي جعفر الفراء الكوفي
١٤- إسحاق بن بياع اللؤلؤ الكوفي
١٥- إسحاق بن إبراهيم الازدي الكوفي
١٦- إدريس بن عبد الله الازدي الكوفي
١٧- ايوب بن الحسن الكوفي
١٨- الياس بن عمرو الكوفي
١٩- الحارث بن ابي رسن الازدي الكوفي
٢٠- حبيب بن ابي ثابت الاسدي الكوفي
٢١- الحارث بن زياد الشيباني الكوفي
٢٢- الحارث بن النعمان البجلي أبو علي كوفي
٢٣- حذيفة بن عامر الربعي الكوفي
٢٤- حميد بن سويد الكلبي الكوفي
٢٥- حميد بن شعيب السبيعي الكوفي
٢٦- زياد بن عيسى الكوفي بياع السابري.
٢٧- زياد بن أبي رجاء الكوفي.
٢٨- سالم بن أبي الجعد الاشجعي الكوفي.
٢٩- سليمان بن مهران الكاهلي الأعمش.
٣٠- صعصعة بن صوحان بن حجر الحارث العبدلي.
٣١- عمار بن معاوية بن صالح الدهني الكوفي.
٣٢- فطر بن خليفة الحناط الكوفي.
٣٣- محمد الخزاز الكوفي.
٣٤- المنهال بن عمر الكوفي.

المكانة التاريخية والحضارية للكوفة

إن دور الكوفة الفكري أو الثقافي يبدو عظيماً خلال التاريخ، ففي بضع سنين صارت الكوفة مركز الحياة علمية وثقافية نشطة، ولم تستطع مدينة أن تنافسها في القرن الأول الهجري سوى البصرة.

ولا يمكن أن تصل الكوفة إلى ما وصلت إليه من مكانة تاريخية وحضارية إلا بتضافر مجموعة من العناصر والعوامل التي تشكل في عملها وحدة متكاملة تعطيها القوة والتميز، وفي مقدمة هذه العوامل الموقع الجغرافي الذي يعد عامل قوة استطاع ان يجذب ويثبت وبفعل العوامل الأخرى، ويوظفها بشكل متوازن لتصل الكوفة إلى ما وصلت إليه من مكانة تاريخية وحضارية خلال القرن الأول الهجري وما بعده[١].

فالكوفة في موقعها قريبة من النهر (الفرات) وبذلك تحققت ثروتها الزراعية فماؤها يروي السهل الخصيب الذي يحيط به شرقاً وجنوباً ولاسيما أن ماءها قد امتاز بالعذوبة والنقاوة والبرودة، وموقعها كان يمثل نقطة اتصال بين منطقتين مختلفتين، الصحراء وظروفها من جهة ومنطقة السواد المعروفة بخصبها من جهة أخرى، وبسبب موقعها فقد كانت تسيطر على الطريق التجاري الكبير الذي يربط اعلى آسيا باقصى اليمن كان موقعها يمثل مسالك الصحراء المنحدرة من فارس عبر المدائن إذ استعمل طريقاً للحج[٢].

كما إن الكوفة كانت وريثة الحيرة، جارتها القريبة منها، تأثرت تبعاً لذلك بكثير من مقوماتها الثقافية والفكرية والاجتماعية. ولاسيما أن الحيرة إمارة عربية كانت عاصمة للمناذرة في العراق، ويذكر أن قريشاً تعلمت الكتابة من أهل الحيرة وهي كانت محطاً للقوافل التجارية فمن الطبيعي أن تسهم هذه الخصائص التي تميزت بها الحيرة لكي ترفد الكوفة بما لديها من تراث فكري وحضاري. وكانت الكوفة من أغنى

(١) خطط الكوفة، ص٦.
(٢) العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، ص٢٠٩.

البلدان الإسلامية من الناحية الثقافية فكانت ملتقى التيارات الحضارية كالبابليين والآشوريين والكلدانيون والفرس واليونان وكان هؤلاء انشاوا ممالك مختلفة في تكوينها، فكان من الطبيعي أن يتأثر أهل هذه المنطقة بهذه التيارات الحضارية والثقافات المتعددة وأصبحت بذلك مركزاً للإشعاع الفكري[١].

وقد استأثرت الكوفة من بين سائر الأمصار الإسلامية بانها انتظمت العدد الأكبر من أجلاء الصحابة وفد معظمهم مع ركب الفاتحين، وقد ساعدت كثافة وثقل الصحابة في الكوفة على تأسيس قاعدة أصيلة للفكر الإسلامي في نواحي متعددة والتي تبلورت فيما بعد وتناسقت مع ما كان في البصرة لتشكل المدينتان قطبي الحركة الفكرية، وقتذاك في العراق. وقد وجه عمر بن الخطاب اهتماماً زائداً بالكوفة، ففي تلك المدينة (وجوه الناس) كما يقول عمر بن الخطاب وهؤلاء هم «رمح الله وكنز الإيمان وجمجمة العرب يجزون شعورهم ويمدون الأمصار» فقد نزل تلك المدينة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، وسبعون من أهل بدر[٢].

فتكون في ذلك المصر مجتمع كان لا بد من توجيه العناية به وتعهده بالعلم والمعرفة لذلك أرسل الخليفة إلى تلك المدينة عمار بن ياسر (ت٣٧هـ)، وعبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ) وكان معهم الكثير ومنهم مسروق بن الأجدع وعمرو بن ميمون والحارث بن قيس، وكانت مهمتهم تعليم الناس القرآن، والتفقه في الدين.

وعندما أرسل الخليفة عمار بن يسار والياً ومعه القارئ الصحابي عبد الله بن مسعود كتب إلى أهل الكوفة: «أما بعد: فاني بعثت إليكم عمار بن يسار أميراً وابن مسعود معلماً ووزيراً، وقد جعلت بن مسعود على بيت مالكم وأنهما من النجباء من أصحاب محمد(ﷺ) من أهل بدر، فاسمعوا لهم وأطيعوا واقتدوا بهما، وقد آثرتكم بابن أم عبد (عبد الله بن مسعود) على نفسي.

وكان من أشهر الدعاة إلى العلم والمعرفة في الكوفة وكان يقول (إن الرجل لا يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم[٣] ورغم انشغال الإمام علي عليه السلام بمشاكله الداخلية ونزاعه مع خصومه فقد أولى عليه السلام العلم والمعرفة والفقه عناية كبيرة إذ نزل الكوفة واتخذها عاصمة للدولة العربية الإسلامية في عهده، وقد كان للإمام علي عليه السلام آراء هامة في العلم والمعرفة منها قوله: «قيمة كل إنسان ما يحسن»، وفي خطبة له بالكوفة يحرض فيها أهلها أن يكونوا كبعض مشاهير العلماء قوله: «يا أهل الكوفة أتعجزون أن تكونوا مثل السلماني والهمداني». ومع الأيام اخذ عدد الصحابة بالنقصان بسبب وفاتهم فقد شيعت الكوفة آخر صحابي وهو عبد الله بن أبي أوفى احد أصحاب الشجرة في سنة ٨٦هـ، وكما كان للمجتمع البشري والعنصر السكاني من العناصر التي أعطت الكوفة مكانتها التاريخية والحضرية، فقد نزلت فيها البيوتات العربية الأربعة: آل زرارة الدارميون، وآل زيد الفزاريون، وآل ذي الجدين الشيبانيون، وآل قيس الزبيدون وهذه القبائل كانت متحضرة وكانت سبباً في تحضر العنصر العربي في الكوفة، بالإضافة إلى أن القبائل العربية واليمنية خاصة (مذحج وهمدان وكندة) هي القبائل التي كان لها السيطرة والسيادة في الكوفة. حيث روى أن عمر كان يبدأ باهل الكوفة وليست البصرة لاحتوائها بيوتات العرب[٤].

وان هذه الأقوام التي سكنت جنوب شبه جزيرة العرب من أهل المدن والقرى كانوا متحدثين تقريباً فصاروا سبباً لتحضر العنصر العربي في الكوفة تبعاً لصفة عقلية تختلف عن البصرة التي كانت تلك العناصر بها قليلة فظهرت الكوفة بابهى معالمها في التمدن والتحضر. وكان في تجمع القبائل والبطون في الكوفة واتصالها عوامل ساعدت النسابة على وضع جداول شتى للأنساب، وكما في البصرة، كان المسجد الجامع من أهم العوامل الحضارية فيها فقد كان في الكوفة أيضاً، إذ أن المسجد الجامع هو المكان الأساسي الذي منه انطلقت الحركة الفكرية فيروى أن الكميت بن زيد (١٢٦هـ/٧٤٣م) الذي كان عالماً بلغات العرب وخبيراً بايامهم اجتمع مع حماد الراوية في المسجد (مسجد الكوفة) فتذكرا أشعار العرب وأيامهم فخالفه حماد في شيء ونازعه فقال له الكميت: أتظن انك اعلم مني بايام العرب وأشعارها؟ قال وما هو إلا الظن؟ هو والله اليقين ثم تناظرا وتساءلا وأرجآ إلى أجل آخر في خبر طويل، وعلى هذا كان المسجد أهم معهد للثقافة في الإسلام.

كما أن الموالي قد لعبوا دوراً ملحوظاً في تطور الحياة الفكرية وازدهارها حيث نلاحظ أن بعض العلماء كانوا من الموالي أمثال سعيد بن جبير، مولى ابن أمية حيث قال عنه عبد الله بن عباس عندما أتاه أهل الكوفة يسالونه «لا تسالوني وفيكم ابن أم الدهماء»؟ ويقصد سعيد بن جبير، وكذلك حماد الراوية مولى بني سعد وهو الذي جمع المعلقات السبع[٥].

(١) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة،.٢٨٦.

(٢) الطبقات الكبرى، ج٦، ص٩.

(٣) الطبقات الكبرى، ج٦، ص٧.

(٤) الدولة العربية وسقوطها، ص٣١٧.

(٥) وفيات الأعيان، ج١، ص٤٤٨.

ومن العناصر التي أسهمت كذلك في مكانة الكوفة وجعلتها متجه الأنظار هو أن القيادة العامة لجيوش المسلمين كان مقرها الكوفة. وكان القوى العسكرية في العراق تعتمد على القبائل العربية من جهة وعلى بقية الصحابة والمجاهدين الذين شهدوا مع الرسول(ﷺ) بدراً وغير بدر من الغزوات الإسلامية الأولى من جهة أخرى، وقد عرفت الكوفة بمكانتها العسكرية حتى كانوا يسمونها (كوفة الجند)، بالإضافة إلى ذلك كله فقد ظهرت في الكوفة علوماً أخرى منها الفقه واللغة والأدب برز فيها أعلام أخذوا دورهم في نشرها منهم أبي حنيفة النعمان (ت١٥٠هـ)[١].

وكانت الكوفة من المدن المهتمة برواية الشعر والأخبار فحفظت التراث العربي اللغوي، فقد تصدى أهل الكوفة لجمع هذا التراث الضخم من مصادره المختلفة تارة من القبائل العربية التي نزلت بالبادية العربية وأخرى من أفواه الأعراب الذين يتوافدون، ومن أفواه الرواة في البصرة تارة ثالثة. فاكتمل نضج الكوفة الحضاري وازدهرت الحياة العلمية فيها بعد أن أصبحت عاصمة الخلافة على يد الإمام علي(عليه السلام) الذي كان رأساً في مختلف العلوم التي نهلها من رسول الله(ﷺ)[٢].

لذا كان لأهل الكوفة الاهتمام الأكبر برواية أخبار العرب وأشعارهم، مظهرة فيها رواية ومؤلفات لأخبار مختلفة وهذه هي العوامل التي رسمت صورة الكوفة، ملامحها التاريخية والحضارية إذ عاشت الكوفة عصرها الذهبي خلال القرنين الأول والثاني للهجرة وكانا قد شهدا أزهى مراحل حياتها الأدبية والعقلية ولكن لما بنيت بغداد في منتصف القرن الثاني الهجري حتى اشتد التنافس العلمي والثقافي بين المدن الثلاثة (البصرة والكوفة وبغداد) حتى تحول النشاط التجاري والأدبي إلى بغداد فكان هذا إيذاناً بأفول نجم الكوفة وضعف شأنها وبداية انحدارها، وقد بلغ هذا الانحدار أشده في أوائل القرن الرابع الهجري حيث فقدت مركزها السياسي وضعف شأنها وأصبحت مدينة للعلوم الدينية ومركز للتفقه والحديث [٣].

خصائص الدراسات التاريخية في الكوفة

لقد كانت المدرسة الإخبارية الكوفية هي والبصرة: المصرين الذين بدأ بهما الاتجاه (الأيام) في دراسة التاريخ، نتيجة للاهتمام بالفعاليات والشؤون القبلية إذ يعد ذلك استمراراً لقصص الأيام وروايات الأنساب في الأسلوب والنظرة، وموجهاً إلى الأيام الجديدة أو المعارك أو الفتوحات في الإسلام، وبظهور طبقة الرواة تولدت لديهم الرغبة في معرفة فعاليات أمتهم وما رافقها من قدرات مكنتها من تحقيق الانتصارات العسكرية والدينية ومن هنا أثارت هذه الرغبة الإخباريين إلى تدوين جميع الروايات وظهرت كتب تسجل مروياتهم ولاسيما الأنساب العربية التي كان بعضها مسجلاً في صحف، وبذلك نجد أن طابعها العام يختلف عن مدرسة المدينة التي اهتمت بالدرجة الأولى بالسير والمغازي وفي حين نجد هذا الاتجاه ضعيفاً إلى حد ما في مدرسة المدينة فكان ابرز ما اشتهرت به مدرسة الكوفة في ميدان التاريخ يتمثل بتاريخ الأنساب والقبائل العربية والأسر[٤].

فقد اشتهرت مدرسة الكوفة التاريخية بالعناية بعلم الأنساب من خلال طبيعة المجتمع العربي الذي تكون منه، ومن خلال أهمية القبائل في حياة هذا المجتمع، وفي القيادة والسياسة والإدارة، إضافة إلى أهمية النسب في حياة العرب قبل الإسلام وبعده لتناسبه مع طبيعة حياتهم، خاصة أن التنظيم الأساسي للدولة العربية الإسلامية كان في بدايته يستند إلى التنظيمات القبلية وبالأخص في الكوفة ومن ثم البصرة، ويمكن القول أن المدرسة فاقت حتى مدرسة بغداد بهذا الميدان. وقد ساهمت مساهمة واضحة في مجال تاريخ القبائل والأسر في تاريخ الفتوحات العربية الإسلامية فنجد أن لها دوراً مهماً في ذلك من خلال مكانة الكوفة في عمليات فتوح الشرق.

أما في ميدان الأخبار التي تضمنت معلومات تاريخية منوعة، فقد ساهم مؤرخو الكوفة في هذا النوع من الكتابات التاريخية متخذين من أسماء بعض الأشخاص عناوين لبعض مؤلفاتهم، إذ إن علم الأخبار هو الأساس لنشأة علم التاريخ الذي نشأ بعد ظهور المؤلفات الإخبارية التي كانت حداً وسطاً بين الأخبار الشفهية (الروايات) وعلم التاريخ حيث اتخذت منهجاً معيناً في التاليف وبذلك تشكلت النواة الأساسية لمادة علم التاريخ الذي ظهر نتيجة لتبلور وتطور علم الإخبار، وبعد ذلك اخذ المؤلفون بتدقيق تلك الأخبار للتأكد من صحتها قبل تدوينها[٥].

وكان ظهور مدرسة الرأي في الكوفة دون غيرها من الأمصار الإسلامية الأخرى لاختلاف العقلية الكوفية اختلافاً كبيراً عن العقلية المكية أو المدنية نظراً لما تتمتع به الكوفة من حضارة ومدنية كبيرة فالعقلية الكوفية عقلية متحضرة مثقفة بثقافات متعددة في حين أن العقلية المكية أو المدنية عقلية بدوية انحصرت ثقافتها فيما كان بين أيديها من قرآن وحديث وهذا من غير شك يجعل العقلية الكوفية أكثر مرونة واشد

(١) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. ط٢، ص١٣.

(٢) حياة الشعر في الكوفة، ص٣٢٠.

(٣) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة، ص١٩٦.

(٤) بحث في نشأة علم التاريخ، ص١١٩.

(٥) حياة الشعر في الكوفة، ص٢٩٤.

استجابة لعوامل التطور واقدر على التكيف والملائمة مع ما يحيط بها من ظروف حضارية فاصبحت موضوعات الكتابة أكثر تنوعاً.

هذا فضلاً عن تعدد الطبقات في المجتمع الكوفي جعل فقهاء الكوفة يواجهون مشكلات من نوع جديد مما دفعهم إلى الاعتماد على عقلهم في سبيل استنباط علم لمثل تلك القضايا والمشكلات بالإضافة إلى الاضطراب السياسي والذي أدى بدوره إلى ظهور مذاهب سياسية ودينية التي دار حولها الجدل المذهبي والخصومات كل هذا أدى إلى تنوع الموضوعات التي أصبحت مسرحاً للجدل والمناقشة[1].

وظهرت في الكوفة أيضاً طائفة من الرواة يروون الشعر والأخبار وأيام العرب وأشهر هؤلاء حماد الراوية والمفضل الضبي فتكونت بالكوفة ما يشبه بمدرسة مستقلة خاصة في الرواية لها طابعها المميز وأسلوبها المتفرد مما جعلها تتفوق على البصرة في هذا الميدان[2]

وبهذا يكون العراق بمصريه (البصرة والكوفة) قد مثل نقطة الاستقطاب الأولى للقبائل العربية بدءاً بحروب التحرير الكبرى ومن ثم الاستقرار الذي شهده هذان المصران وخاصة ان الكوفة أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية بعد المدينة فقد ظهر عدد غير قليل من الإخباريين الذين نقلت لنا المصادر نتاجهم والذين مثلوا مرحلة متقدمة في الرواية الخبرية العربية.

مشاهير أعلام التاريخ في الكوفة ومكانتهم العلمية

كان علماء الكوفة من بين العلماء المسلمين الذين وضعوا أسس الحركة الفكرية في عصور الازدهار الإسلامي، ولذا كان لهذه المدينة علمائها مساهمات واسعة ومتميزة في النمو الفكري الكبير للعرب المسلمين، مع ان الحركة الفكرية العربية الإسلامية لم تكن في تكوينها نتاج مدينة معينة وعلمائها بل هي نتاج كل العلماء في الدولة العربية الإسلامية.

وقد أنجبت الكوفة جماعة من الرواة والإخباريين والمؤرخين أصبح لهم في كتب التاريخ مواقع مهمة في إيضاح الأحداث الذي جرت خلال العصور العربية الإسلامية وخاصة انه في عهد العباسيين كانت موجة التاليف قد تضخمت، ودائرته قد اتسعت، وأصوله قد تفرعت، وفروعه قد أثمرت، وهذه سنة النشوء يبدأ الشيء صغيراً ثم يتدرج مع الأيام نمواً، وكلما مرت الأيام كانت خطوات التقدم أوسع وقد كان لأهل الكوفة الاهتمام الأكبر برواية أخبار العرب وتدوينها، واندفع مؤرخيها في تأليف عشرات من الكتب أو مئات لاشك في أن معظمها أشبه بالرسائل الصغيرة، والمقالات الواسعة، وكانت تشكل في مجموعها المادة التاريخية الأساسية لكتابة التاريخ، وقد استقصت في مجموعها أيضاً كافة ما يهم المؤرخ معرفته من المعلومات عن مختلف مواضيع التاريخ الإسلامي خاصة وتاريخ العرب قبل الإسلام وبعض تواريخ الأمم. ومن هؤلاء الرجال[3]:

١- هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ أو ٢٠٦هـ)/(٨١٩-٨٢١م)

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو المنذر، (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) وقيل (٢٠٦هـ /٨٢١م)[4]، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها وقبائلها ووقائعها، كوفي المولد والإقامة والوفاة وان كان قد زار بغداد وحدث بها بعض الوقت وهو من أسرة تعيش العلم وتعيه للناس، فقد كان أبوه محمد بن السائب الكلبي (١٤٦هـ/٧٦٣م) من كبار علماء الكوفة ومن الذين يجلسون للحديث والرواية والتفسير، فتتلمذ هشام على يد أبيه وعلى كبار علماء زمانه، وبعد ذلك تتلمذ على يد ابنه العباس بن هشام وجماعة من أعيان زمانه[5].

وهو إخباري علامة شغل بالتاريخ فكان مرجع المؤرخين وهدف المحققين ونبغ في عالم التأليف وهو من المع عباقرة التاليف، ومن أعمقهم معرفة ومن أبعدهم تقصياً وأكثرهم تأليفاً في النسب وفي التاريخ القديم وأيام العرب وفي تاريخ الإسلام ورجالاته وفتوحاته وفي تاريخ الشعر ونوابغه وفي علم البلدان وعجائب البحار وغير ذلك مما جعله في نظر الباحثين دائرة معارف، ومجموع مؤلفاته عن ابن النديم يزيد عن (١٤٠) كتاب[6].

وقد كان سريع الحفظ سريع النسيان وهو القائل: «حفظت ما لم يحفظه احد، ونسيت ما لم ينسه احد»، ويحاول أن يدلل على سرعة مقدرته في الحفظ فيقول: «عاتبني عم لي على حفظ القرآن فدخلت البيت وحلفت لا اخرج منه حتى أحفظه فحفظته في ثلاثة أيام»[7].

وقيل عنه: انه يروي الغرائب والعجائب والأخبار التي لا أصول لها، وقد كان احمد بن حنبل يقول عنه إنما هو صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحداً يحدث عنه [8].

(١) حياة الشعر في الكوفة، ص٢١٠.

(٢) حياة الشعر في الكوفة، ص٢٣٨.

(٣) التاريخ العربي والمؤرخون، ج ١، ص٩٦.

(٤) رجال النجاشي، ج٢، ص٣٣٩، وفيات الأعيان، ج٦، ص٨٢

(٥) المعارف، ص١٨١.

(٦) الفهرست، ص١٠٨ - ١١٠.

(٧) مروج الذهب، ج٣، ص١٦٦؛ معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٢٨.

(٨) كتاب الأصنام، تحقيق: احمد زكي، ص١٤ - ١٥.

ولكن عدم الثقة به كمحدث لا تنال من قدرته كعالم بالأنساب والأخبار وأيام العرب وقبائلهم وملوكهم وتاريخهم وبلدانهم وأقاليمها والقابهم وأديانهم ومحاسنهم ومثالبهم وعاداتهم ومجتمعهم ومؤوداتهم إلى غير ذلك من الموضوعات التي ضمنها أكثر من (١٤٠) كتاب عن ابن النديم، ولذلك قيل انه اعلم الناس بالأنساب وقد اخذ هذا العلم عن أبيه، حيث انه كان آية الآيات في معرفة نسب العرب حتى صار في زمانه فرداً يضرب به المثل ولقد بلغ من أمره أن القوم كانوا يفزعون إليه في معرفة أنسابهم أو في انتحال الأنساب لهم إذا كانوا قد نالوا خطأ في الاستشهاد. وبذلك فقد تخصص بها بحيث أن صفة النسابة لصقت باسمه وكان له أربعة كتب مشهورة، ففي أولها كتاب الجمهرة في معرفة الأنساب وهو أحسن كتبه وله كتاب المنزل وهو اكبر من كتاب الجمهرة، وقد ذكرت المصادر أنه ألف كتاب (الفريد في الأنساب) للمامون وكتاب (الملوكي في الأنساب) لجعفر بن يحيى البرمكي[١].

وقد قسم ابن النديم كتب ابن الكلبي إلى تسعة مواضيع هي:

أولاً - كتبه في الأحلاف:

ثانياً - كتبه في المآثر والبيوتات والمتافرات والمؤودات.

ثالثاً - كتبه في أخبار الأوائل.

رابعاً - كتبه فيما قارب الإسلام من أخبار العرب قبل الإسلام.

خامساً - كتبه في أخبار الإسلام.

سادساً - كتبه في أخبار البلدان

سابعاً - كتبه في الشعر وأيام العرب.

ثامناً - كتبه في الأخبار والأسماء.

تاسعاً - كتبه في الأنساب وشمل قسمين الأول نسب اليمن والثاني في انساب العدنانية.[٢]

ثم ذكر ابن النديم عدد آخر من الكتب المتفرقة تحت عنوان (ومن كتبه أيضاً) كتاب أولاد الخلفاء - أمهات النبي(ﷺ) - أمهات الخلفاء - كنى آباء الرسول(ﷺ) - تسمية ولد عبد المطلب.

وبذلك تكون كتبه ذات قيمة ليست في كثرتها، وإنما تقع أهميتها في موضوعاتها، أما مصادره فقد كان يعتمد على الأصول والمصادر التاريخية التي تتعلق بموضوع دراسته فيقول هو عنها: إني كنت أستخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم واموهم كلها، وقد اخذ هشام عن أبيه محمد بن السائب ما جمعه عن القبائل مباشرة واخذ عن أبي مخنف لوط بن يحيى ومحمد بن سعد كاتب الواقدي[٣].

فهو بذلك يعد من جهابذة العلماء الذين تفتخر بهم الحضارة العربية في تقييد كثير من الشوارد وفي تدوين طائفة كبيرة من المعلومات التاريخية والجغرافية، وكان مبداه الذي كان يعبر عنه بقوله: الإسناد في الخبر مثل العلم في الثوب، حيث كان كثير الاحتياط في نقل الأخبار، وكان واسع الرواية وان المأثور عنه شيء كثير ومن أمعن النظر في أمهات الدواوين التي وصلت من أكابر المؤرخين نراها مفعمة بالنقول الكثيرة المنسوبة إلى ابن الكلبي، كمحمد بن سعد، أو من روى عنه عن طريق سلسلة من الرواة كما يلاحظ ذلك في كتاب الأغاني وممن اخذ عنه أيضاً بهذه الطريقة الجاحظ والمسعودي[٤].

وقد نقل عن الطبري في تاريخه مجموعة من الروايات، وبخاصة بعض أخبار أبي جعفر المنصور وعلمه باللغة والشعر، ومدة ملك بعض خلفاء بني العباس مثل المهدي والهادي والرشيد والأمين، وقد حدث عنه محمد بن حبيب صاحب المحبر (ت٢٤٥هـ/٨٥٩م) وروى عن كتبه، فهو بحق كما تم عده في مقدمة الإخباريين وأهل العلم بالتاريخ وكانت أعماله خطوات واسعة نحو التأليف التاريخي القائم على أساس العلم[٥].

٢ - الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الكوفي (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م)

كان الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن الكوفي، معاصرا لابن الكلبي ومن وزنه وطبقته علماً وفضلاً ورواية وحفظاً لشعر العرب وأخبارهم وأنسابهم، وهو من الذين تركوا عدداً كبيراً من الكتب النفيسة التي لا تخرج في مجمل موضوعاتها عن تلك التي ألفها ابن الكلبي، فقد كانت موضوعات القبائل والأنساب والأخبار والأشعار والرواية والبلدان وعلوم اللغة مما يهتم له المتأدبون والمثقفون وبمرور الأزمنة تغيرت أسماء الموضوعات وان بقيت محتويات الكتب على طبيعتها، فالأخبار أصبحت تاريخاً، والبلدان أصبحت جغرافية، والأشعار أصبحت أدباً[٦].

(١) معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٨٨ - ٢٩٢.

(٢) الفهرست، ص١٠٨ - ١١٠.

(٣) معجم الأدباء، ج١٩، ص٢٨٨ - ٢٩٢.

(٤) كتاب الأصنام، ص١٥.

(٥) كتاب الأصنام، ص١٣.

(٦) وفيات الأعيان، ج٦، ص١٠٦.

ولد سنة (١٣٠هـ/٧٤٧م) وتوفي سنة (٢٠٧هـ/٨٢٢م)، ولد ونشأ في الكوفة ثم انتقل إلى بغداد فسكنها وحدث بها، كان إخبارياً علامة راوياً، نقل من أخبار العرب وأشعارها ولغاتها شيئاً كثيراً، وقد عده ابن قتيبة وابن النديم من النسابين وأصحاب الأخبار وياقوت الحموي من الأدباء، وقد نقل في كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها الكثير، وقد كان الهيثم تلميذ هشام بن عروة (ت١٤٦هـ أو ١٤٧هـ) ومحمد بن اسحق (ت١٥١هـ أو ١٥٢هـ)، وتتلمذ على يده محمد بن سعد صاحب الطبقات[١].

وقد اختص بمجالسة الخلفاء العباسين المنصور والمهدي والهادي والرشيد وروى عنهم، وقد ملأ التاريخ والأدب بأخباره وقصصه ونوادره وله اثر في مصر فقد نزل بها وحدث فيها وينسب إليه انه من اسبق المؤرخين إلى ترتيب الحوادث حسب السنين فكان بذلك قدوة للطبري بعده. وقد كانت له معرفة بأمور الناس وأخبارهم ولم يكن في الحديث بالقوي فقيل عنه انه متروك الحديث ولكن ذلك لا ينال من قدره كإخباري وراوية علم وقصاص السمار، وان الجاحظ على قدره الكبير يجعل منه واحداً من مصادره الأصيلة في كتابيه البيان والتبيين والحيوان وقد كان معترفاً بعلمه وفضله ودرايته وروايته حتى من أولئك الذين يكنون له البغضاء[٢].

وقائمة كتبه طويلة تزيد على الخمسين، ولعل بعضها رسائل صغيرة وهي كثيرة التنوع في الأنساب والأخبار والمثالب وأخبار الفرس وأخبار الخوارج ويمكن تقسيمها على أربعة مجموعات[٣].

الأولى: الكتب المتصلة بالأنساب وبالمعلومات النسبية من أمثال كتاب المثالب الكبير والصغير وكتاب الأحلاف وكتب البيوتات وكتب المعمرين ... الخ.

الثانية: الكتب التاريخية وهي أهم كتبه ومنها: كتاب الدولة، تاريخ العجم وبني أمية، تاريخ الأشراف، الطبقات (للفقهاء والمحدثين)، التاريخ على السنين ولعله المثال الأقدم الذي كتب لتاريخ العالم أو الإسلام والذي نسج الطبري على منواله حتى أصبحت كتابة التاريخ العالمي على أساس الحوليات هي المنهاج التاريخي التقليدي من بعد، ويعبر الكتاب عن إدراك واضح لمفهوم وحدة التاريخ أو وحدة التاريخ الإسلامي خاصة كما يعبر عن إدراك وحدة الأمة الإسلامية ووحدة تجاربها عبر السنين[٤].

الثالثة: كتب في تواريخ الأقاليم ومنها: خطط الكوفة، ولاة الكوفة، قضاة الكوفة والبصرة، وفخر أهل الكوفة على أهل البصرة، مديح أهل الشام ومداعي أهل الشام.

الرابعة: كتب في مواضيع نادرة منها، كتاب النوادر، النساء، المواسم، المحبر، النشاب، النوافل.

ويتضح من قائمة كتبه انه ذو فكر منظم جامع، وطد للمؤرخين طرائق التدوين، وكان من الرواد الكبار فيها وأصبحت بعد ذلك مناهج في التأليف وفي تدوين التاريخ هي الحوليات والطبقات والتاريخ العالمي. وهو أول من كتب في الشؤون الحضارية والنظم السياسية والقضائية وبذلك يكون إنتاجه التاريخي وفيراً مما أعطى المؤرخين الكبار ثروة ضخمة من المعلومات المنظمة وقد اعتمده الطبري والبلاذري وابن قتيبة والمسعودي[٥].

وأخيراً فان الهيثم بن عدي يمثل مطالع الاتصال بين الفكر التاريخي الإسلامي وتواريخ الأمم الأخرى وهو اتصال لم يتم كثيراً في الإسلام ولكن الهيثم بن عدي أول من سجل وجوده وألف فيه.

وكان هشام الكلبي علامة نسابة راوية للمثالب، (فإذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص، ويستدل من هذا على أن الهيثم لم يكن يباريه احد في علمه ومعرفته بالأنساب).

٣٠ نصر بن مزاحم بن سيار المنقري، أبو الفضل الكوفي التميمي (٢١٢هـ / ٨٢٧م)

نصر بن مزاحم بن سيار المنقري، أبو الفضل الكوفي التميمي، وقيل أبو المفضل ولد سنة (١٢٠هـ) وهو كوفي سكن بغداد وحدث بها، وقيل انه كان عطاراً، كما عمل محتسباً بالكوفة زمنا طويلاً، كان محدثاً وإخبارياً وقيل: انه كان عارفا بالتاريخ والأخبار بل أمام علماء والأخبار والمغازي[٦].

قال عنه: ابن أبي الحديد: هو ثبت صحيح النقل غير منسوب إلى هوى، وقال أبو حاتم زائغ الحديث متروك. وقيل انه من طبقة أبي مخنف، حدث ببغداد عن سفيان الثوري، حبيب بن حسان، عبد العزيز بن سياه، يزيد بن إبراهيم التستري، ابن الجارود زياد بن المنذر، كما وحدث عنه شعبة بن الحجاج وابي مخنف. روى عنه ابو سعيد الاشبح، نوح بن حبيب القومسي، وابنه الحسين بن نصر، وجماعة من الكوفيين[٧].

(١) التاريخ العربي والمؤرخون، ج، ص١٨١، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٠٦؛ مرآة الجنان، ج٢، ص٣٢.
(٢) مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص١٤٢.
(٣) الفهرست، ص١١٢.
(٤) التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص١٨٤.
(٥) التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص١٨٥.
(٦) وقعة صفين، ط٢، ص٣٦.
(٧) شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٨٣.

وله مؤلفات كثيرة قيل عنها أنها حسان، وهي كتاب الغارات، كتاب صفين، كتاب الجمل، كتاب مقتل حجر بن عدي، كتاب مقتل الحسين بن علي (عليه السلام)، أخبار المختار، المناقب أو مناقب الأئمة أخبار محمد بن أبي إبراهيم وأبي السرايا، وعين الوردة. ونجد كتبه تدور حول موضوعات لها علاقة بالشيعة[1].

وقيل انه لم تحفظ لنا الأيام من آثاره إلا كتاب واحد وهو صفين وقيل وقعة صفين وهو منشور بهذا الاسم بمنشورات دار إحياء الكتب العربية، وبه يسوق مقدمات حرب صفين في حذق، ثم هو يصور لنا الحرب وهي دائرة الرحى في دقة تصوير وحسن استيعاب، ويروي لنا أحاديث القوم وخطبهم وأشعارهم، على ما في ذلك الشعر من صناعة في الرواة او تلفيق أصحاب الأخبار ولكن في ذلك كله يكاد لا يخطئه التوفيق في مراعاة الانسجام واستواء التصوير واتساق العرض، وتخللت كتاباته في صفين الكثير من الشعر والخطب وان معظم الأشعار كانت موضوعة ويلاحظ عنايته ضعيفة بالتواريخ كما انه يتعامل مع الإسناد بكثير من التساهل، وأسلوبه متاثر باسلوب كتاب قصاص أيام العرب ونرى أهمية وقيمة هذا الكتاب وأهمية معلوماته من خلال المقتطفات التي وردها الطبري وابن أبي الحديد في كتابيهما والتي أمكنت إعادة جمع الكتاب.

٤ . عبد الله بن صالح بن مسلم الكوفي العجلي (ت٢١١هـ/٨٢٦م)

وهو أبو صالح، عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي الكوفي، وهو كان من بين المؤرخين الذين ظهروا في أواسط القرن الثاني الهجري والذي كان لهم نصيب تطوير المدرسة التاريخية العربية والمدراسة التاريخية في العراق بشكل خاص، ولد عبد الله بن صالح سنة ١٤١هـ وعاش في زمان حافل بالأحداث التاريخية كبقية معاصريه من المؤرخين والتي امتدت من عهد المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ) إلى عهد المأمون (١٥٨-٢١٨هـ) وقد كانت لسنة وفاته آراء مختلفة، فرأي يقول انه توفي سنة (٢١١هـ/٨٢٦م)، ورأي ثاني يؤيد سنة (٢٢١هـ/٨٣٥م)، ورأي يؤيد سنة(٢٢٠هـ/٨٣٤م)[2].

وقد تلقى العلم من كثير من علماء عصره من المحدثين ومن رواة الأخبار من أهل الكوفة وبغداد وقد أدى هذا إلى تاثيره باساليبهم وبعض مناهجهم في مروياته التاريخية ومنهم أبو عبد الله سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، يحيى بن ادم، والهيثم بن عدي، كان عبد الله بن صالح ينقل الأخبار التاريخية الموثوقة والصحيحة وينقلها لتلاميذه وقد دللت مروياته على سعة علمه ودقة ملاحظاته وقد اخذ عنه كثير من المؤرخين وأفادوا من أخباره أمثال أبو عبيدة القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) والبخاري (ت٢٥٥هـ) والبلاذري (ت٢٧٩هـ)، وقد كان احد الحفاظ للأخبار وامتازت رواياته بتقصي الحقائق التاريخية وجمعها وظل طول حياته يحدث وقد أشاد به العلماء والمؤرخون وقيل عنه انه مستقيم الحديث، وقال عنه ابنه انه ثقة ابن ثقة ابن ثقة.

أما منهجيته في الكتابة التاريخية فقد كانت غالبية مروياته مختصرة وتتميز بالوضوح وعدم الغموض وامتازت بدقة أسانيدها، واهتم بصفة عامة بالروايات ذات الطابع السياسي للتاريخ العربي حيث تناولت أحداثاً سياسية وأقدم مروياته تناول بها أخبار الخليقة والمبتدأ ثم سيرة الرسول(صلى الله عليه وآله)، ومن ثم تاريخ العصر الراشدي فالأموي فالعباسي حتى استمر بذلك إلى بداية هارون الرشيد[3].

وقد تضمنت رواياته الاستشهاد بالآيات القرآنية وتم ورود الأحاديث النبوية الشريفة بشكل واسع، كما امتاز منهجه بورود الشعر في مروياته، وقد كان يورد الخبر كاملاً وما فيه من أبيات شعرية مهمة التي توضح الخبر، وبذلك فهو يستخدم الشعر بشكل واسع ويقرنها باخبار تاريخية من اجل توضيح صورة الخبر، واتصفت منهجيته بالتحري في نقل الأخبار التاريخية التي يدونها وينقلها لتلاميذه ورواته وذلك من خلال كثرة ألفاظ التحمل في مروياته، كما أورد عدداً من الأمثال المتداولة في الأخبار التاريخية في متن مروياته وشرح معنى المثل[4].

مصادر البحث

القرآن الكريم

أولاً: المصادر العربية:

١- ابن الكلبي: كتاب الأصنام، تحقيق الدكتور احمد زكي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.

٢- ابن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٩.

٣- ابن سعد البصري: الطبقات الكبرى، تحقيق: عبد السلام هارون، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤.

٤- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩.

(١) التاريخ العربي والمؤرخون، ج١، ص١٨٢.

(٢) انساب الأشراف، ج٤، ص٧٤.

(٣) حلية الأولياء، ج٧، ص٣٢٢.

(٤) انساب الأشراف، ج١، ص١٤٦.

٥- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة الأعلمي للمطوعات (بيروت، ١٩٨٧.

٦- أبو نعيم احمد الاصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٢، دار القلم، بيروت، ١٩٦٧.

٧- أبو اسحق إبراهيم بن محمد الاصطخري : المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨.

٨- أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي: الفهرست، صححه وعلق عليه: السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٣٧.

٩- الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيالي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١.

١٠- إبراهيم بن محمد الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبد العال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٨.

١١- احمد عادل كمال: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، ط٣، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٤.

١٢- احمد بن يحيى بن جابر البلاذري: انساب الأشراف، تحقيق الدكتور سهيل زكار وآخرون، الدار العربية للعلوم، بيروت، ١٩٩٦.

١٣- احمد بن يحيى بن جابر البلاذري: فتوح البلدان، مراجعة: رضوان محمد رضوان، ط١، بيروت، ١٩٧٨.

١٤- احمد عادل كمال: سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية، ط٣، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٤.

١٥- احمد بن علي بن احمد النجاشي: كتاب الرجال، ط٢، طهران، لا. ت.

١٦- احمد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية، دار النهضة العربية، بيروت، ط٢، ١٩٩١.

١٧- حسين البراقي: تاريخ الكوفة، حرره الأستاذ محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف،١٣٥٦هـ

١٨- جمال الدين بن مكرم الإفريقي: لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب وآخرون، دار القلم بيروت، ١٩٥٥.

١٩- صفي الدين عبد المؤمن ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١، دار العلوم، بيروت، ١٩٩٢.

٢٠- علي بن أبي المكارم الشيباني (ابن الأثير): الكامل في التاريخ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠٠٩.

٢١- علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الأنوار، بيروت، ٢٠٠٩.

٢٢- علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني: الأغاني، ط٣، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٥.

٢٣- عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط٢، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٧٠.

٢٤- علي بن الحسين الهاشمي: سعيد بن جبير، تحقيق المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات، دار الهدى، قم، ٢٠٠٣.

٢٥- عبد الكريم بن طاووس الحسني: فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي، تحقيق تحسين آل شبيب، مطبعة محمد، منشورات مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم،١٩٩٨.

٢٦- عبد الرضا الطفيلي: جلاء الأبصار في شرح الاستبصار، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٤.

٢٧- علي الخاقاني: رجال الخاقاني، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٨.

٢٨- سميرة مختار الليثي: جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، مطبعة ستارة، قم، ٢٠٠٧.

٢٩- سعاد ماهر محمد: مشهد الإمام علي بالنجف وما به من الهدايا والتحف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩.

٣٠- شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ط٢، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩.

٣١- كاظم الجنابي وآخرون: تخطيط مدينة الكوفة، بغداد، ١٩٦٧.

٣٢- محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣

٣٣- محمد حسين الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن ١هـ المعارف، القاهرة، ١٩٧٠.

٣٤- محمد بن اسحق الوراق ابن النديم: الفهرست، مؤسسة اسماعليان، طهران، ١٩٧١م.

٣٥- عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة): كتاب المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٠.

٣٦- محمد بن يعقوب الفيروز ابادي: القاموس المحيط والقابوس البسيط ط٤، دار المعارف، القاهرة ١٩٣٨.

٣٧- محمد جواد البغدادي: المعين على معجم رجال الحديث، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٩٩٥

٣٨- مصطفى الموسوي: العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار العلم للملايين بيروت،١٩٨٢

٣٩- مصعب بن عبد الله الزبيري: نسب قريش، صححه وعلق عليه ونشره ليفي بروفنسال، مطبعة الشريعة، قم، ٢٠٠٧.

٤٠- مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو. ط٢، القاهرة، ١٩٥٨.

٤١- نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفين، ط٢، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٢هـ

٤٢- هشام جعيط: الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، ط٢، دار القلم، بيروت، ١٩٩٣.

٤٣- يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن ٢هـ دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.

٤٤- ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق: مرجليوث، طبع الهند، ١٩٢٣.

ثانياً: المصادر المترجمة:

١- فرانز روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ترجمة: أنيس فريحة ووليد عرافات، دار صادر، بيروت، ١٩٦١.

٢- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط٤، (مصر، لا. ت).

٣- لويس ماسنيون: خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمه وعلق عليه: ن، المصعبي، صيدا، ١٩٣٩.

٤- لانجلو واخرون: المدخل للدراسات التاريخية ودراسات أخرى، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠.

٥- يوليوس ولهاوزن: الدولة العربية وسقوطها، ترجمة: د.يوسف العش، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٥٦.

ثالثاً: المجلات والصحف:

١- الدكتور حسين مؤنس: ظلمات بعضها فوق بعض، مجلة أكتوبر المصرية، الحلقة الرابعة، العدد ٣٣٤، القاهرة، ١٩٨٣.

٢- مثنى الشرعُ في رحاب الإمام الصادق (عليه السلام)، جريدة الفرات، العدد ١٠٨، ص٨، النجف، ٢٠٠١.

٣- يعقوب سركيس: مباحث عراقية، مجلة سومر، المجلد الرابع، بغداد (١٩٤٨).

رابعاً: الرسائل الجامعية:

بان حسين حسن داود السنجري: مدرستا البصرة والكوفة في التاريخ في القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

❖ ❖ ❖